أعلامنا في سجل التاريخ

- محمد بن عبد الوهاب
- محمد بن سعود
- عبد الله بن محمد
- حمد بن معمر

إعداد

إسماعيل بن سعد بن إسماعيل بن عتيق

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ/٢٠١٣م

أعلامنا في سجل التاريخ

❁ محمد بن عبد الوهاب
❁ محمد بن سعود
❁ عبد الله بن محمد
❁ حمد بن معمر

إعداد

إسماعيل بن سعد بن إسماعيل بن عتيق

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ/٢٠١٣م

ⓒ إسماعيل بن سعد بن إسماعيل بن عتيق ، ١٤٣٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن عتيق، إسماعيل بن سعد بن إسماعيل

أعلامنا في سجل التاريخ – الرياض

..... ص؛ ١٧×٢٤سم

ردمك: ٠-٠٠٠-٠٠-٩٩٦٠

١- ٢- أ- العنوان

ديوي ١٤٣٥/

رقم الإيداع:

ردمك:

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ/٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

أعلامنا في سجل التاريخ

الشيخ محمد بن عبدالوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله يسر اليسر وجنبنا العسر وأبان لنا من الحق دليلاً والصلاة والسلام على هادي البرية إلى الملة الحنيفية محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه وسلم:

وبعد فقد تلاطم موج الحديث وتسابق الناس بالقول والتحديث عن مجدد الألف الثاني العالم الرباني شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي فمقل ومكثر ومقتصد ومسهب ومن أحسن من كتب عنه العالم الهندي مسعود الندوي وعنون ما كتبه ((بالمصلح المظلوم)) ولكن كما قيل: صاحب البيت أدرى بما فيه وأهل مكة أدرى بشعابها لذا فقد اخترت ما سجله العالم الفاضل والفذ المناضل الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب عن جده. فلقد بلور منهجه وأبان مسلكه مما لا يدع شكاً للعاقل المسترشد هدى الله حقيقة ما يدعو إليه.

والباعث لما ننشره كثرة القادة الأعلام وأئمة العلوم والأحكام ولكن إمامنا بنى قاعدة التوحيد وهدم صرح الشرك والتنديد وأقام على أنقاضه دولة تحمى جناب الإخلاص وقد قام على إثرها دعوات في الأمصار يتطلع أصحابها للزعامة وتشرئب أعناقهم للقيادة ورأوا أن إصلاح القمة هو سبيل إصلاح الأمة والحق أن إصلاح الفرد هو اللبنة الأولى لإصلاح المجتمع المتكامل في عقيدته وسلوكه ومنهجه ومتى تعانق المنهجان كان

ذلك أتم. وقد اخترت أسلوب الاستجواب في إخراج هذا الكتاب فما كان بين قوسين فهو طرح لسؤال افترضته ومطابقة الجواب للسؤال مما ألفه الشيخ عبداللطيف رحمه الله. ورمزت للسؤال والجواب بسعد وسعيد فالأول السائل والثاني المجيب.

والله أسأل أن يهب لنا علماً نافعاً وعملاً صالحاً والله من وراء القصد هو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على محمد.

إسماعيل بن سعد بن عتيق

محرم ١٤٣٥هـ

(جلس سعد وسعيد يتحاوران يسترشد أحدهما من الآخر فقال سعد يا أخي سعيد أرجوك أن ترشدني إلى خطبة الحاجة.

قال سعيد: إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً.

(سعد: أحسنت جزاك الله خيراً فهل يمكنك يا أخي أن تعطيني نبذة كاشفة عن حال الإمام المصلح محمد بن عبدالوهاب لأن جهتنا لا يوجد بها ذلك؟)

سعيد: أما بعد فقد سألت أرشدك الله أن أرسل إليك نبذة مفيدة كاشفة عن حال الشيخ الإمام، العلم القدوة المجدد لما اندرس من دين الإسلام والقائم بنصرة شريعة سيد الأنام، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، أحسن الله له المآل وضاعف له الثواب، ويسر له الحساب، وذكرت أرشدك الله أن جهتكم لا يوجد فيها ذلك، وأن عندكم من الطلبة من يتشوق على تلك المناهج والمسالك، فكتبت إليك هذه الرسالة، وسودت إليك هذه الكراسة والعجالة، ليعلم الطالب، ويتحقق الراغب، حقيقة ما دعا إليه هذا الإمام وما كان عليه من الاعتقاد والفهم التام، ويستبين للناظر فيها مايبهت به الأعداء، من الأكاذيب والافتراء، التي يرومون بها تنفير الناس عن المحجة والسبيل، وكتمان البرهان والدليل. وقد كثر أعداؤه ومنازعوه،

وفشا البهت بينهم فيما قالوه ونقلوه، فربما اشتبه على طالب الإنصاف والتحقيق، والتبس عليه واضح المنهج والطريق، فإن استصحب الأصول الشرعية، وجرى على القوانين المرضية، عرف أن لكل نعمة حاسداً، ولكل حق جاحداً، ولا يقبل في نقل الأقوال والأحكام إلا العدول الثقاة الضابطون من الأنام ومن استصحب هذا استراح عن البحث فيما ينقل إليه ويسمع، ولم يلتفت إلى أكثر ما يختلف فيه ويصنع، وكان من أمره على منهاج واضح ومشروع.

(سعد: شكر الله لك يا أخ سعيد ولي حاجة في أن أتعرف على نسب هذا الشيخ وطلبه العلم وعمن روى عنهم.)

سعيد:- فأما نسب هذا الشيخ فهو الإمام العلم القدوة البارع محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف.

ولد رحمه الله سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة في بلد العيينة من أرض نجد ونشأ بها وقرأ القرآن بها حتى حفظه وأتقنه قبل بلوغه العشر، وكان حادَّ الفهم سريع الإدراك والحفظ، يتعجب أهله من فطنته وذكائه. وبعد حفظ القرآن اشتغل بالعلم وجد في الطلب، وأدرك بعض الإرب، قبل رحلته لطلب العلم، وكان سريع الكتابة ربما كتب الكراسة في المجلس، قال أخوه سليمان كان والده يتعجب من فهمه، ويعترف بالاستفادة منه مع صغر سنه، ووالده هو مفتي تلك البلاد، وجدُّه

مفتي البلاد النجدية. آثاره وتصنيفه وفتاواه تدل على علمه وفقهه، وكان جده لأبيه المرجع في الفقه والفتوى، وكان معاصراً للشيخ منصور البهوتي الحنبلي خادم المذهب اجتمع به بمكة، وبعد بلوغ الشيخ سن الاحتلام، قدمه والده في الصلاة ورآه أهلاً للائتمام، ثم طلب الحج إلى بيت الله الحرام، فأجابه والده إلى ذلك المقصد والمرام، وبادر إلى قضاء فريضة الإسلام، وأداء المناسك على التمام، ثم قصد المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وأقام بها قريباً من شهرين، ثم رجع إلى وطنه قرير العين، واشتغل بالقراءة في الفقه على مذهب الإمام أحمد رحمه الله.

ثم بعد ذلك رحل يطلب العلم، وذاق حلاوة التحصيل والفهم، وزاحم العلماء الكبار، ورحل إلى البصرة والحجاز مراراً، واجتمع بمن فيها من العلماء والمشايخ والأحبار، وأتى الأحساء وهي إذ ذاك آهلة بالمشايخ والعلماء، فسمع وناظر وبحث واستفاد، وساعدته الأقدار الربانية بالتوفيق والإمداد.

وروى عن جماعة منهم الشيخ عبدالله بن إبراهيم النجدي ثم المدني، وأجازه من طريقين، وأول ما سمع منه الحديث المسلسل بالأولية كتب السماع بالسند المتصل إلى عبدالله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)) وسمع منه مسلسل الحنابلة بسنده إلى

أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله-قالوا كيف يستعمله؟ قال يوفقه لعمل صالح قبل موته)) وهذا الحديث من ثلاثيات أحمد رحمه الله. وطالت إقامة الشيخ ورحلته بالبصرة وقرأ بها كثيراً من كتب الحديث والفقه والعربية. وكتب من الحديث والفقه واللغة ما شاء الله في تلك الأوقات.

وكان يدعو إلى التوحيد ويظهره لكثير ممن يخالطه ويجالسه ويستدل عليه، ويظهر ما عنده من العلم ما لديه، كان يقول إن الدعوة كلها لله، لا يجوز صرف شيء منها إلى سواه، وربما ذكروا بمجلسه إشارات الطواغيت أو شيئاً من كرامات الصالحين الذين كانوا يدعونهم ويستغيثون بهم ويلجؤون إليهم في الملمات والمهمات، فكان ينهي عن ذلك ويزجر، ويورد الأدلة من الكتاب والسنة ويحذر، ويخبر أن صحبة الأولياء والصالحين إنما هي متابعتهم فيما كانوا عليه من الهدى والدين، وتكثير أجورهم بمتابعتهم على ما جاء به سيد المرسلين، وأما دعوى المحبة والمودة، مع المخالفة في السنة والطريقة، فهي دعوى باطلة مردودة، غير مسلمة عند أهل النظر والحقيقة، ولم يزل على ذلك رحمه الله.

ثم رجع إلى وطنه فوجد والده قد انتقل إلى بلده حريملاء فاستقر معه فيها، يدعوا إلى السنة المحمدية ويبديها، ويناصح من خرج عنها ويفشيها، حتى رفع الله شأنه ورفع ذكره، ووضع له القبول، وشهد له بالفضل ذووه من أهل المعقول والمنقول، وصنف كتابه المشهور في التوحيد، وأعلن

بالدعوة إلى الله العزيز الحميد، وقرأ عليه هذا الكتاب المفيد، وسمعه كثير ممن لديه من طالب ومستفيد، وشاعت نسخه في البلاد، وطار ذكره في الغور والإنجاد، وفاز بصحبته واستفاد، من جرد القصد وسلم من الأشر والبغي والفساد، وكثر بحمد الله محبوه وجنده، وصار معه عصابة من فحول الرجال، وأهل السمت الحسن والكمال، يسلكون معه الطريق، ويجاهدون كل فاسق وزنديق.

(سعد أحسنت يا أخ سعيد على جوابك السديد ولي سؤال آخر وهو كيف كان أهل عصره ومصره في تلك الأزمان؟)

سعيد: كان أهل عصره ومصره في تلك الأزمان قد اشتدت غربة الإسلام بينهم، وعفت آثار الدين لديهم، وانهدمت قواعد الملة الحنيفية، وغلب على الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية، وانطمست أعلام الشريعة في ذلك الزمان، وغلب الجهل والتقليد والإعراض عن السنة والقرآن، وشب الصغير وهو لا يعرف من الدين إلا ما كان عليه أهل تلك البلدان، وهرم الكبير على ما تلقاه من الآباء والأجداد، وأعلام الشريعة مطموسة، ونصوص التنزيل وأصول السنة فيما بينها مدروسة، وطريقة الآباء والأسلاف مرفوعة الأعلام، وأحاديث الكهان والطواغيت مقبولة، غير مردودة ولا مدفوعة، وقد خلعوا ربقة التوحيد والدين، وجدوا واجتهدوا في الاستغاثة والتعلق بغير الله من الأولياء والصالحين، والأوثان والأصنام والشياطين، علماؤهم ورؤساؤهم على ذلك مقبلون، ومن بحره الأجاج

شاربون وبه راضون، وإليه مدة الزمان داعون، قد أعشتهم العوائد والمألوفات، وحبستهم الشهوات والإرادات، عن الارتفاع إلى طلب الهدى من النصوص المحكمات، والآيات البينات، يحتجون بما رووه من الآثار الموضوعات، والحكايات المختلفة والمنامات، كما يفعله أهل الجاهلية وعبر الفترات، وكثير منهم يعتقد النفع والضر من الأحجار والجمادات، ويتبركون بالآثار والقبور في جميع الأوقات ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر: ١٩] ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام: ١] ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

(سعد: ما قولكم في بلاد نجد؟)

سعيد: فأما بلاد نجد، فقد بالغ الشيطان في كيدهم وجد، وكانوا ينتابون قبر زيد بن الخطاب، ويدعونه رغباً ورهباً بفصيح الخطاب، ويزعمون أنه يقضي لهم الحوائج، ويرونه من أكبر الوسائل والولائج، وكذلك عند قبر يزعمون أنه قبر ضرار بن الأزور، وذاك كذب ظاهر، وبهتان مزور، وكذلك عندهم نخل فحال، ينتابه النساء والرجال يفعلون عنده أقبح الفعال، والمرأة إذا تأخر الزواج عنها ولم يرغب فيها الأزواج،

تذهب إليه فتضمه بيدها وتدعوه برجاء وابتهال، وتقول يا فحل الفحول، أربد زوجاً قبل الحول، وشجرة عندهم تسمى الطريفة أغراهم الشيطان بها وأوحى إليهم التعلق عليها وأنها ترجى منها البركة ويعلقون عليها الخرق، لعل الولد يسلم من السوء، وفي أسفل بلدة الدرعية مغارة في الجبل يزعمون أنها انفلقت من الجبل لامرأة تسمى بنت الأمير، أراد بعض الناس أن يظلمها ويضير، فانفلق الغار ولم يكن له عليها اقتدار، كانوا يرسلون إلى هذا المكان من اللحم والخبز ما يقتات به جند الشيطان، وفي بلدتهم رجل يدعي الولاية يسمى تاج يتبركون به ويرجون منه العون والإفراج.

وكانوا يأتون إليه، ويرغبون فيما عنده من المدد بزعمهم ولديه، فتخافه الحكام والظلمة، ويزعمون أن له تصرفاً وفتكاً بمن عصاه وملحمة مع أنهم يحكون عنه الحكايات القبيحة الشنيعة التي تدل على انحلاله عن أحكام الملة والشريعة وهكذا سائر بلاد نجد على ما وصفنا من الإعراض عن دين الله والجحد لأحكام الشريعة والرد.

(سعد: كيف كان وضع الحرمين الشريفين؟)

سعيد: ومن العجب أن هذه الاعتقادات الباطلة، والمذاهب الضالة والعوائد الجائرة، والطوائف الخاسرة قد فشت وظهرت وعمت وطمت، حتى بلاد الحرمين الشريفين، فمن ذلك ما يفعل عند قبر محجوب وقُبة أبي طالب، فيأتون قبره بالسماعات والعلامات للاستغاثة عند نزول المصائب وحلول النواكب، وكانوا له في غاية التعظيم، ولا ما يجب عند البيت

الكريم، فلو دخل سارق أو غاصب، أو ظالم قبر أحدهما لم يتعرض له أحد لما يرون له من وجوب التعظيم والاحترام والمكارم ومن ذلك ما يفعل عند قبر ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها في سرف، وكذلك عند قبر خديجة رضي الله عنها يفعل عند قبرها مالا يسوغ السكوت عليه من مسلم يرجو الله واليوم الآخر فضلاً عن كونه من المكاسب، الدنيئة الفاجرة وفيه من اختلاط النساء بالرجال، فعل الفواحش والمنكرات وسوء الأفعال، ما لا يقره أهل الأديان والكمال، وكذلك سائر القبور المعظمة المشرفة في بلد الله الحرام مكة المشرفة.

(سعد: وهل حدث في الطائف مثل ما حدث في الحرمين)

سعيد: وفي الطائف قبر ابن عباس رضي الله عنه يفعل عنده من الأمور الشركية التي تشمئز منها نفوس الموحدين وتنكرها قلوب عباد الله المخلصين وتردها الآيات القرآنية وما ثبت من النصوص عن سيد المرسلين، منها وقوف السائل على القبر متضرعاً مستغيثاً، وإبداء الفاقة إلى معبودهم مستكيناً مستعيناً وصرف خالص المحبة التي هي محبة العبودية والنذر والذبح لمن تحت تلك المشهد والبنية وأكثر سوقتهم وعامتهم يلهجون بالأسواق اليوم على الله وعليك يا ابن عباس فيستمدون منه الرزق والغوث وكشف الضر والبأس، وذكر محمد بن حسين النعيمي الزبيدي رحمه الله أن رجلاً رأى ما يفعل أهل الطائف، من الشعب الشركية والوظائف، فقال: أهل الطائف لا يعرفون الله، إنما يعرفون ابن عباس،

فقال له بعض من يترشح للعلم: معرفتهم لابن عباس كافية لأنه يعرف الله، فانظر إلى هذا الشرك الوخيم، والغلو الذميم المجانب للصراط المستقيم.

ووازن بينه وبين قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقوله جل ذكره: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن:١٨] وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى باتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد يعبد فيها الله، فكيف بمن عبد الصالحين، ودعاهم مع الله؟ والنصوص في ذلك لا تخفى على أهل العلم، كذلك ما يفعل بالمدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام هو من هذا القبيل، بالبعد عن منهاج الشريعة والسبيل.

(سعد: أتظن جُدة لا يكون بها شيء من ذلك؟)

سعيد: وفي بندر جُدة، ما قد بلغ من الضلال حده، وهو القبر يزعمون أنه قبر حواء، وضعه لهم بعض الشياطين، وأكثروا في شأنه الإفك المبين، وجعلوا له من السدنة والخدام، وبالغوا في مخالفة ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام، من النهي عن تعظيم القبور والفتنة بمن فيها من الصالحين والكرام، وكذلك مشهد العلوي، وبالغوا في تعظيمه وتوقيره، وخوفه ورجائه، وقد جرى لبعض التجار أنه انكسر بهال عظيم لأهل الهند وغيرهم وذلك في سنة عشر ومائتين وألف فهرب إلى مشهد العلوي

مستجيراً، ولائذاً به مستغيثاً، فتركه أرباب الأموال، ولم يتجاسر أحد من الرؤساء والحكام، على هتك ذلك المشهد والمقام، واجتمع طائفة من المعروفين واتفقوا على تنجيمه في مدة سنين، فنعوذ بالله من تلاعب الفجرة والشياطين.

(سعد: أتصور أن في بلاد مصر وصعيدها وفيومها وأعمالها أشد وأنكى؟)

سعيد: وأما بلاد مصر وصعيدها وفيومها وأعمالها فقد جمعت من الأمور الشركية، والعبادات الوثنية، والدعاوى الفرعونية، ما لا يتسع له كتاب، ولا يدنوا له خطاب، لاسيما عند مشهد أحمد البدوي وأمثاله من المعتقدين المعبودين، فقد جاوزوا بهم ما ادعته الجاهلية لآلهتهم، وجمهورهم يرى له من تدبير الربوبية، والتصرف في الكون بالمشيئة والقدرة العامة، ما لم ينقل عن أحد مثله بعد الفراعنة والنماردة، وبعضهم يقول يتصرف في الكون سبعة، وبعضهم يقول أربعة وبعضهم يقول قطب يرجعون إليه، وكثير منهم يرى أن الأمور شورى بين عدد ينتسبون إليه، فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف: ٥].

وقد استباحوا عند تلك المشاهد من المنكرات والفواحش والمفاسد ما لا يمكن حصره، ولا يستطاع وصفه، واعتمدوا في ذلك من الحكايات

والخرافات والجهالات ما لا يصدر عمن له أدنى مسكة أو حظ من المعقولات، فضلاً عن النصوص الشرعيات.

(سعد: ما رأيكم في اليمن وكيف حالتها الدينية في ذلك الزمن؟)

سعيد: كذلك ما يفعل في بلدان اليمن، جار على تلك الطريق والسنن، ففي صنعاء وبرع والمخا وغيرها من تلك البلاد ما يتنزه العاقل عن ذكره ووصفه، ولا يمكن الوقوف على غايته وكشفه، ناهيك بقوم استخفهم الشيطان، وعدلوا عن عبادة الرحمن، إلى عبادة القبور والشياطين، فسبحان من لا يعجل بالعقوبة على الجرائم، ولا يهمل الحقوق والمظالم.

(سعد: كيف كانت حالة حضرموت وبلاد نجران؟)

سعيد: وفي حضرموت والشحر وعدن ويافع، ما تستك عن ذكره المسامع، يقول قائلهم: شيء لله يا عيدروس، شيء لله يا محبي النفوس،.. وفي أرض نجران من تلاعب الشيطان، وخلع ربقة الإيمان مالا يخفى على أهل العلم بهذا الشأن، كذلك رئيسهم المسمى بالسيد لقد أتوا من تعظيمه، وطاعته وتقديسه وتصديره والغلو فيه، بما أفضى بهم إلى مفارقة الملة والإسلام، والانحياز إلى عبادة الأوثان والأصنام ﴿ اتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١].

(سعد: هل بلغ هذا الشرك بلاد الشام؟)

سعيد: وكذلك حلب ودمشق وسائر بلاد الشام فيها من النُّصُب والأعلام، ما لا يجامع عليه أهل الإيمان والإسلام، من أتباع سيد الأنام، وهي تقارب ما ذكرنا في الكفريات المصرية، والتلطف والأحوال الوثنية الشركية.

(سعد: ما قولكم في الموصل وبلاد الأكراد؟)

سعيد: وكذلك الموصل وبلاد الأكراد، ظهر فيها من أصناف الشرك والفجور والفساد، وفي العراق من ذلك بحره المحيط بسائر الخلجان، وعندهم المشهد الحسيني وقد اتخذه الرافضة وثناً، بل رباً مدبراً، وخالقاً ميسراً، وأعادوا به المجوسية، وأحيوا به معاهد اللات والعزى وما كان عليه أهل الجاهلية، وكذلك مشهد العباس ومشهد علي ومشهد أبي حنيفة ومعروف الكرخي والشيخ عبدالقادر، فإنهم قد افتتنوا بهذه المشاهد رافضتهم وسنتهم وعدلوا عن أسنى المطالب والمقاصد، ولم يعرفوا ما وجب عليهم من حق الله الفرد الصمد الواحد، وبالجملة فهم شر تلك الأمصار، وأعظمهم نفوراً عن الحق واستكباراً.

والرافضة يصلون لتلك المشاهد، ويركعون ويسجدون لمن في تلك المعاهد، وقد صرفوا من الأموال والنذور، لسكان تلك الأجداث والقبور، ما لا يصرف عشر معشاره للملك العلي الغفور، ويزعمون أن زيارتهم لعلي وأمثاله، أفضل من سبعين حجة، تعالى الله وتقدس في مجده وجلاله،

ولآلهتهم من التعظيم والتوقير والخشية والاحترام ما ليس معه من تعظيم الله وتوقيره وخشيته وخوفه شيء للإله الحق والملك العلام، ولم يبق مما عليه النصارى سوى دعوى الولد، ومع أن بعضهم يرى الحلول لأشخاص بعض البرية﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠].

وكذلك جميع قرى الشط والمجرة على غاية من الجهل، والمعروف في القطيف والبحرين من البدع الرافضية، والأحداث المجوسية والمقامات الوثنية، ما يضاد ويصادم أصول الملة الحنيفية.

فمن اطلع على هذه الأفاعيل، وهو عارف بالإيمان والإسلام وما فيهما من التفريع والتأصيل، تيقن أن القوم قد ضلوا عن سواء السبيل، وخرجوا من مقتضى القرآن والدليل، وتمسكوا بزخارف الشيطان، وأحوال الكهان، وما شابه هذا القبيل، فازداد بصيرة في دينه، وقوي بمشاهدة إيمانه ويقينه، وجد في طاعة مولاه وشكره، واجتهد في الإنابة إليه وإدامة ذكره، وبادر إلى القيام بوظائف أمره، وخاف أشد الخوف على إيمانه من طغيان الشيطان وكفره، فليس العجب ممن هلك كيف هلك، إنما العجب ممن نجا كيف نجا، ولقد أحسن العلامة محمد بن إسماعيل الأمير، فيما أبداه من أهل وقته من التبديل والتغيير.

(سعد: أحسنت يا أخ سعيد فقد كشفت لي عن الأحوال الدينية إبان ظهور المصلح المجدد في الأمصار ونجد والحجاز أفليس في هذه البلاد من ينكر هذه الحوادث المذكورة والكفريات المشهورة.)

سعيد: وهذه الحوادث المذكورة، والكفريات المشهورة، والبدع المزبورة، قد أنكرها أهل العلم والإيمان، واشتد نكيرهم حتى حكموا على فاعلها بخلع ربقة الإسلام والإيمان، ولكن لما كانت الغلبة للجهال والطغام، انتفض عرى الدين وانثلمت أركانه وانطمست منه الأعلام، وساعدهم على ذلك من قل حظه ونصيبه من الرؤساء والحكام، والمنتسبين من الجهال إلى معرفة الحلال والحرام، فاتبعتهم العامة والجمهور من الأنام، ولم يشعروا بما هم عليه من المخالفة والمباينة لدين الله الذي اصطفاه لخاصته وأوليائه وصفوته الكرام، ومع عدم العلم والإعراض عن النظر في آيات الله والفهم لا مندوحة للعامة عن تقليد الرؤساء والسادة، ولا يمكن الانتقال عن المألوف والعادة، ولهذا كرر سبحانه وتعالى التنبيه على هذه الحجة الداحضة، والعادة المطردة الفاضحة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ [لقمان: ٢١] وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. قد قرر هذا المعنى في القرآن لحاجة العباد وضرورتهم إلى معرفته والحذر منه وعدم الاغترار بأهله. وما أحسن ما قال عبدالله بن المبارك رحمه الله.

وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها

إذا عرفت هذا فليس إنكار الحوادث من خصائص هذا الشيخ، بل له سلف صالح من أئمة العلم والهدى، قاموا بالنكير والرد على من ضل

شجرة كذات أنواط، فقال ((الله أكبر هذا كقول بني إسرائيل لموسى ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ مع أنهم لم يطلبوا إلا مجرد مشابهتهم في العكوف عندها، وتعليق الأسلحة للتبرك، فتبين لك بهذا أن من جعل قبراً أو شجرة أو شيئاً حياً أو ميتاً مقصوداً له، ودعاه واستغاث به وتبرك به وعكف على قبره، فقد اتخذه إلهاً مع الله، فإذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنكبر عليهم مجرد طلبهم منه مشابهة المشركين في العكوف وتعليق الأسلحة للتبرك، فما ظنك بما هو أعظم من ذلك وأطم؟ الشرك الأكبر الذي حرمه الله ورسوله، وأخبر أن أصلح الخلق لو يفعله لحبط عمله وصار من الظالمين، فصلوات الله وسلامه عليه كما بلغ البلاغ المبين، عرفنا بالله وأوضح لنا الصراط المستقيم، فحقيق بمن نصح نفسه وآمن بالله واليوم الآخر أن لا يغتر بما عليه أهل الشرك من عبادة القبور من هذه الأمة.

(سعد: زدني جزاك الله خيراً بذكر ما قاله عالم آخر؟)

سعيد: ومن ذلك ما ذكره الإمام محدث الشام عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة من فقهاء الشافعية وقدمائهم في كتابه الذي سماه **(الباعث، على إنكار البدع والحوادث)** في فصل البدع المستقبحة، قال البدع المستقبحة تنقسم على قسمين: قسم تعرفه العامة والخاصة أنه بدعة محرمة وإما مكروهة، وقسم يظنه معظمهم -إلا من

وغوى، وصرف خالص العبادة إلى من تحت أطباق الثرى، وسنسرد لك من كلامهم ما تقر به العين وتثلج به الصدور، ويتلاشى معه ما أحدثه الجهال من البدع والإشراك والزور.

(سعد: أرجوك يا أخ سعيد أن تقص عليَّ بعض ما كتبه أولئك الأعلام وأنكروه).

سعيد: قال الإمام أبو بكر الطرطوشي في كتابه المشهور الذي سماه (الباعث على إنكار البدع والحوادث): روى البخاري عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل حنين ونحن حديثوا عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم ((الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨]. ((لتركبن سنن من كان قبلكم)) فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة فقصدها الناس يعظمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، وينوطون بها الخرق والمسامير، فهي ذات أنواط، فاقطعوها انتهى كلامه رحمه الله.

فانظر رحمك الله إلى تصريح هذا الإمام، بأن كل شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون الشفاء والعافية من قبلها فهي ذات أنواط، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه لما طلبوا

عصمه الله- عبادات وقربات وطاعات وسنن، فأما القسم الأول فلا نطول بذكره، إذ كفانا مؤونة الكلام منه اعتراف فاعله أنه ليس من الدين، ولكن تبين من هذا القسم مما قد وقع فيه جماعة من جهال العوام النابذين لشريعة الإسلام التاركين الاقتداء بأئمة الدين من الفقهاء وهو ما يفعله طوائف من المنتسبين للفقر الذي حقيقته الافتقار عن الإيمان، مؤاخاة النساء الأجانب والخلوة بهن واعتقادهم في مشايخ لهم ضالين مضلين يأكلون في نهار رمضان من غير عذر ويتركون الصلاة ويخامرون النجاسات غير مكترثين لذلك، فهم داخلون تحت قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]. ولهذه الآية وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها.

ومن هذا القسم أيضاً ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد والسرج مواضع مخصوصة في كل بلد.

يحكى حاك أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شهر بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه، يظنون أنهم مترقبون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم فيعظمونها، ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم، وهي من بين عيون وشجر وحائط وحجر، وفي مدينة دمشق صانها الله من ذلك مواضع متعددة كعوينة الحمى خارج بلدة توما والعمود المخلق خارج البيت الصغير، والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر في نفس

قارعة الطريقة سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها، فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق وسفيان بن عيينة عن الزهري عن سنان بن أبي سفيان عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين، وكانت لقريش شجرة خضراء عظيمة يأتونها كل سنة فيعلقون عليها سلاحهم، ويعكفون عندها ويذبحون لها، وفي رواية خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل حنين، ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فتنادينا من جانبي الطريق ونحن نسير إلى حنين يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ((الله أكبر)) هذا كما قال قوم موسى لموسى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]. ((لتركبن سنن من كان قبلكم)) أخرجه الترمذي بلفظ آخر والمعنى واحد وقال هذا حديث حسن صحيح. قال الإمام أبو بكر الطرطوشي في كتابه المتقدم ذكره: فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البرء والشفاء من قبلها أو ينوطون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها (قلت) ولقد أعجبني ما فعله الشيخ أبو إسحاق الحسائى رحمه الله تعالى أحد الصالحين ببلاد افريقية حكى عنه صاحبه الصالح أبو عبدالله محمد بن أبي العباس المؤدب أنه كان إلى جانبه عين تسمى عين العافية كانت العامة قد افتتنوا بها يأتونها من

الآفاق، من تعذر عليها نكاح أو ولد قالت امضوا بي إلى العافية فتعرف بها الفتنة قال أبو عبدالله فأنا في السحر ذات ليلة إذ سمعت أذان أبي إسحاق نحوها فخرجت فوجدته قد هدمها وأذن الصبح عليها ثم قال اللهم إني هدمتها لك فلا ترفع لها رأساً قال فما رفع لها رأس إلى الآن.

قلت وأدهى من ذلك وأمر إقدامهم على قطع الطريق السابلة يجيزون في أحد الأبواب الثلاثة القديمة العادية التي هي من بناء الجن في زمن نبي الله سليمان بن داود عليه السلام، ومن بناء ذي القرنين، وقيل فيها غير ذلك مما يؤذن بالتقدم على ما نقلناه في كتب تاريخ مدينة دمشق حرسها الله، وهو الباب الشمالي، ذكر لهم بعض من لا يوثق به في شهور سنة ٦٣٦ أنه رأى مناماً يقتضي أن ذلك المكان دفن فيه بعض أهل البيت، وقد أخبرني عنه ثقة أنه اعترف له أنه افتعل ذلك، فقطعوا طريق مارة فيه وجعلوا الباب بكماله أصل مسجد مغصوبا، وقد كان الطريق يضيق بسالكيه فتضاعف الضيق والحرج، على من دخل ومن خرج، ضاعف الله عذاب من تسبب في بنائه، وأجزل ثواب من أعان على هدمه وإزالة اعتدائه، اتباعاً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم في هدم مسجد الضرار، المرصد لأعدائه من الكفار، فلم ينظر الشارع إلى كونه مسجداً، وهدمه لما قصد به من السوء والردى، وقال الله لنبيه (لا تقم فيه أبدا) نسأل الله الكريم معافاتنا من كل ما يخالف رضاه، وأن لا يجعلنا ممن أضله واتخذ إلهه هواه.

وهذا الشيخ أبو شامة من كبار أئمة الشافعيين في أوائل القرن السابع.

(سعد: فيما علمت أن الإمام محمد بن عبدالوهاب حنبلي فأحب بهذه المناسبة أن أستأنس بأقوال بعض أئمة الحنابلة).

سعيد: وقال الإمام أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي رحمه الله: لما صعبت التكاليف على الجهلة والطغام، عدلوا عن أوضاع الشرع إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، قال وهم عندي كفار لهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها وإلزامها لما نهى عنه الشارع من إيقاد السرج وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع التي فيها يا مولاي افعل بي كذا وكذا وأخذ تبركاً بها، وأما إفاضة الطيب على القبور وشد الرحال إليها، وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى، والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكفار ولم يتمسح بآجر المدينة يوم الأربعاء ولم يقبل الجملون على جنازة الصديق أبي بكر وعلي أو لم يعقد على قبر أبيه أزجا (؟) بالجص والآجر ولم يخرق ثيابه إلى الذيل ولم يرق ماء الورد على القبر انتهى.

فتأمل رحمك الله ما ذكره هذا الإمام الذي هو أجل أئمة الحنابلة بل من أجل أئمة الإسلام، وما كشفه من الأمور التي يفعلها الخواص من الأنام، فضلاً عن النساء والغوغاء والعوام، مع كونه في سادس القرون، والناس إذ ذاك لما ذكره يفعلون، وجهابذة العلماء والنقدة يشهدون،

وحظهم من النهي المرتبة الثانية فهم بها قائمون، يتضح لك فساد ما زخرفه المبطلون، وموه به المتعصبون والملحدون.

(**سعد**: الشيخ تقي الدين ابن تيمية له القدح المعلا في إنكار هذه الحوادث فهل تسوقون لي شيئاً من كلامه؟)

سعيد: قال الشيخ تقي الدين وأما سؤال الميت والغائب نبياً كان أو غيره فهو من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين لم يأمر الله به ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، فإن أحداً منهم ما كان يقول إذا نزلت به ترة أو عرضت له حاجة لميت يا سيدي فلان أنا في حسبك أو اقض حاجتي، كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعوهم من الموتى والغائبين، ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ولا بغيره من الأنبياء لا عند قبور الأنبياء ولا الصلاة عندها، ولما قحط الناس في زمن عمر بن الخطاب استسقى بالعباس وتوسل بدعائه وقال اللهم إنا كنا نتوسك إليك بنبيك إذا أجدبنا فتسقينا، وإنا نتوسل إليه بعم نبينا فاسقنا. كما ثبت ذلك في صحيح البخاري، وكذلك معاوية رضي الله عنه لما استسقى أهل الشام بيزيد بن الأسود الجرشي. فهذا الذي ذكره عمر رضي الله عنه توسل منه بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته في حياته ولهذا توسلوا بعده بدعاء العباس وبدعاء يزيد بن الأسود وهذا هو الذي ذكره الفقهاء في كتاب الاستسقاء فقالوا

يستحب أن يستسقى بالصالحين وإذا كان من أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفضل.

(سعد: ما قول العلماء في حكم دعاء الرجل عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم؟)

سعيد: وكره العلماء، كمالك وغيره أن يقوم الرجل عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لنفسه وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف، قال أصحاب مالك: إذا دخل المسجد يدنو من القبر فيسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو مستقبل القبلة، يوليه ظهره وقيل لا يوليه ظهره، وإنما اختلفوا لما فيه من استدباره أما إذا جعل الحجرة عن يساره فقد زال المحذور بلا خلاف، ولعل هذا الذي ذكره الأئمة أخذوه من كراهة الصلاة إلى القبر، فإذا كان قد ثبت النهي عن النبي صلى الله عليه وسلم فلما نهى أن يتخذ القبر مسجداً أو قبلة أمروا بأن لا يتحرى الدعاء إليه كما لا يصلي إليه قال مالك في المبسوط: لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو، ولكن يسلم ويصلي، ولهذا والله أعلم حرفت الحجرة وثلثت لما بنيت فلم يجعل حائطها الشمالي على القبلة، ولا جعل سطحاً، وذكر الإمام وغيره أنه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره، وذلك بعد تحيته والصلاة والسلام عليه، ثم يدعو لنفسيه، وذكروا أنه إذا حياه وصلى يستقبل وجهه بأبي وأمي صلى الله عليه وسلم، فإذا أراد الدعاء جعل الحجرة عن يساره واستقبل القبلة ودعا، وهذا

مراعاة منهم أن يفعل الداعي أو الزائر ما نهي عنه من تحرى الدعاء عند القبر، وقد ذكر مالك رحمه الله وغيره من أهل المدينة كلما دخل أحدهم المسجدان يجيء فيسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، قال وإنما يكون ذلك لأحدهم إذا قدم من سفر أو أراد سفراً ونحو ذلك، ورخص بعضهم في السلام عليه إذا دخل للصلاة ونحوها.

(سعد: ما قولكم فيمن يقصد القبر دائماً للصلاة والسلام عليه؟)

سعيد: وأما قصده دائماً للصلاة والسلام عليه فما علمت أحداً رخص في ذلك، لأن ذلك نوع من اتخاذه عيداً، وأيضاً فإن ذلك بدعة فقد كان المهاجرون والأنصار في عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرهه من ذلك وما نهاهم عنه ولأنهم كانوا يسلمون عليه حين دخول المسجد والخروج منه، وفي آخر الصلاة في التشهد كما كانوا يسلمون عليه كذلك في حياته، والمأثور عن ابن عمر يدل على ذلك قال أبو سعيد في سننه حدثنا عبدالرحمن بن يزيد حدثني أبي عن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فصلى وسلم عليه وقال: السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه، وعبدالرحمن بن يزيد وإن كان يضعف لكن الحديث الصحيح عن نافع يدل على أن ابن عمر لم يكن يفعل ذلك دائماً ولا غالباً، وما أحسن ما قال مالك رحمه الله: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم ونقصوا إيمانهم عوّضوا عن ذلك بما أحدثوه

من البدع والشرك وغيره، ولهذا كرهت الأمة استلام القبر وتقبيله وبنوه بناء منعوا الناس أن يصلوا إليه ومما يبين حكمة الشريعة وأنها كما قيل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق- إن الذين خرجوا عن المشروع زين لهم الشيطان أعمالهم حتى خرجوا إلى الشرك، فطائفة من هؤلاء يصلون للميت، ويستدبر أحدهم القبلة ويسجد للقبر، ويقول أحدهم: القبلة قبلة العامة، وقبر الشيخ فلان قبلة الخاصة، وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهداً وهو شيخ متبوع ولعله أمثل اتباع شيخه يقول في شيخه وآخر من أعيان الشيوخ المتبوعين أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد، بأمر المريد أول ما يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ ويعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها.

(سعد: وهل يا ترى يحصل لعباد القبور خشوع ورقه كخشوعهم لله وعبادتهم له؟)

سعيد: وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والذل وحضور القلب ما لا يجده أحدهم في مساجد الله التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وآخرون يحجون القبور، وطائفة صنفوا كتباً (وسموها مناسك حج المشاهد) كما صنف أبو عبدالله محمد بن النعمان الملقب بالمفيد أحد شيوخ الإمامية كتاباً في ذلك وذكر فيه من الحكايات المكذوبة على أهل البيت ما لا يخفى كذبه على من له معرفة بالنقل، وآخرون يسافرون إلى قبور المشايخ وإن لم يسموا ذلك نسكاً

وحجاً، فالمعنى واحد، وكثير من هؤلاء أعظم قصده من الحج قصد قبر النبي صلى الله عليه وسلم لا حج البيت، وبعض الشيوخ المشهورين بالدين والزهد والصلاح صنف كتاباً سماه الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والمنام، وقد ذكر في مناقب هذا الشيخ أنه حج مرة وكان قبر النبي صلى الله عليه وسلم منتهى قصده، ثم رجع إلى مكة وجعل هذا من مناقبه فإذا كان هذا مستحباً فينبغي لمن يجب عليه حج البيت إن حجَّ يجعل المدينة منتهى قصده، ولا يذهب إلى مكة، فإنه زيادة كلفة ومشقة مع ترك الأفضل. وهذا لا يقوله عاقل.

وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض أكابر الشيوخ عند الناس ممن يقصده الملوك والقضاة والعلماء والعامة على طريقة ابن سبعين، قيل عنه أنه كان يقول: البيوت المحجوبة ثلاثة، مكة وبيت المقدس والبيت الذي للمشركين في الهند، وهذا لأنه كان يعتقد أن دين اليهود حق، ودين النصارى حق، وجاءه بعض إخواننا العارفين قبل أن يعرف حقيقته فقال له أريد أن أسلك على يديك، فقال على دين اليهود أو النصارى أو المسلمين، فقال له واليهود والنصارى ليسوا كفاراً؟ فقال الشيخ لا تشدد عليهم ولكن الإسلام أفضل.

(سعد: يا أخي سعيد ألا يكون هناك تشابه بين الحج إلى عرفات والسفر إلى هذه المقابر مما يوجب المنع والتحريم؟)

سعيد: ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ بمنزلة عرفات يسافرون إليها وقت الموسم فيعرفون بها كما يعرف المسلمون بعرفات كما يفعل هذا

في المشرق والمغرب، ومنهم من يحكي عن الشيخ الميت أنه قال كل خطوة إلى قبري كحجة ويوم القيامة لا أبيع بحجة فأنكر بعض الناس ذلك فتمثل له الشيطان بصورة الشيخ عن إنكار ذلك.

وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونسكهم لغير رب العالمين فليسوا على ملة إمام الحنفاء وليسوا من عمار مساجد الله التي قال الله فيها: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨] وعمار مشاهد القبور يخشون غير الله ويرجون غير الله حتى إن طائفة من أرباب الكبائر الذين لا يخشون الله فيما يفعلونه من القبائح، فإذا رأى قبة الميت أو الهلال الذي على رأس القبة فيخشى من فعل الفواحش، ويقول أحدهم لصاحبه ويحك هذا هلال القبة، فيخشون المدفون تحت الهلال ولا يخشون الذي خلق السموات والأرض وجعل أهلة السماء مواقيت للناس والحج.

وهؤلاء إذا نوظروا خوفوا مناظرهم كما صنع المشركون مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ الأنعام: ٨٠ - ٨١ إلى قوله: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

(سعد: أعد لي حديثك عمن جعل الميت بمنزلة الآله، والشيخ الحي كالنبي صلى الله عليه وسلم؟)

سعيد: وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الآله، والشيخ الحي المتعلق به كالنبي فمن الميت طلب قضاء الحاجات وكشف الكربات، وأما الحي فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه، وكأنهم في أنفسهم قد عزلوا الله أن يتخذوه آلهاً، وعزلوا محمداً صلى الله عليه وسلم أن يتخذوه رسولاً، وقد يجيء الحديث العهد بالإسلام والتابع لهم المحسن الظن بهم أو غيره يطلب من الشيخ الميت إما دفع ظلم ملك يريد أن يظلمه أو غير ذلك فيدخل ذلك السادن فيقول قد قلت للشيخ والشيخ يقول للنبي والنبي يقول لله والله قد بعث رسولاً إلى السلطان فلان، فهل هذا إلا محض دين المشركين والنصارى؟ وفيه من الكذب والجهل ما يستجيزه كل مشرك أو نصراني ولا يروج عليه ويأكلون من النذور والمنذور ما يؤتى به إلى قبورهم ما يدخلون به في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [التوبة:٣٤] يعرضون بأنفسهم ويمنعون غيرهم إذ التابع لهم يعتقد أن هذا هو سبيل الله ودينه فيمتنع بسبب ذلك من الدخول في دين الحق الذي بحث الله به رسله وأنزل به كتبه، والله سبحانه لم يذكر في كتابه المشاهد، بل ذكر المساجد، وأنها خالصة لوجهه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩] وقال: ﴿إِنَّمَا

يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [التوبة: ١٨]. وقال: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ [النور: ٣٦]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ ﴾ [الحج: ٤٠]. ولم يذكر بيوت الشرك كبيوت النيران والأصنام والمشاهد لأن الصوامع والبيع لأهل الكتاب.

(سعد: لقد مدح الله الصوامع والبيع في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ ﴾ فلماذا ننكرها؟)

سعيد: فالممدوح من ذلك ما كان مبنياً قبل النسخ والتبديل، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات، فبيوت الأوثان وبيوت النيران وبيوت الكواكب وبيوت المقابر لم يمدح الله شيئاً منها، ولم يذكر ذلك إلا في قصة من لعنهم النبي صلى الله عليه ويلم قال تعالى (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) فهؤلاء الذين اتخذوا مسجداً على أهل الكهف كانوا من النصارى الذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وفي رواية (وصالحيهم)) ودعاء المقبورين من أعظم الوسائل إلى ذلك.

وقد قدم بعض شيوخ المشرق فتلكم معي في هذا فبينت له فساد هذا فقال أليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم ((إذا أعيتكم الأمور، فعليكم بأصحاب القبور؟)) فقلت هذا كذب باتفاق أهل العلم لم يروه عن النبي صلى الله عليه وسلم أحد من علماء الحديث، وبسبب هذا وأمثاله ظهر مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم ((لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه- قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن؟)).

وهؤلاء الغلاة المشركون إذا حصل لأحدهم مطلبه ولو من كافر لم يقبل على الرسول بل يطلب حاجته من حيث أنها تقضي، فتارة يذهب إلى ما يظنه قبر رجل صالح ويكون فيه قبر كافر أو منافق، وتارة يعلم أنه كافر أو منافق فيذهب إليه كما يذهب قوم إلى الكنيسة أو إلى مواضع يقال لهم إنها تقبل النذور فهذا يقع فيه عامتهم، وأما الأول فيقع فيه خاصتهم، والمقصود هنا أن كثيراً من الناس يعظم قبر من يكون في الباطن كافراً أو منافقاً، ويكون هذا عنده والرسول من جنس واحد لاعتقاده أن الميت يقضي حاجته إذا كان رجلاً صالحاً، وكلا هذين من جنس واحد يستغيث به، وكم من مشهد يعظمه الناس وهو كذب بل يقال إنه قبر كافر كالمشهد الذي بسفح جبل لبنان الذي يقال إنه قبر نوح، فإن أهل المعرفة كانوا يقولون إنه قبر بعض العمالقة، وهذا مشهد الحسين الذي بالقاهرة وقبر أبي بن كعب الذي بدمشق، اتفق العلماء على أنهما كذب، ومنهم من قال إنهما

قبرا نصرانيين، وكثير من المشاهد تنازع (الناس) فيها وعندها شياطين تضل بسببها من تضل، ومنهم من يرى في المنام شخصاً يظن أنه المقبور، ويكون ذلك شيطان متصوراً بصورته كالشياطين الذين يكونون بالأصنام وكالشياطين الذين يتمثلون لمن يستغيث بالأصنام والموتى والغائبين، وهذا كثير في زماننا وغيره، مثل أقوام يرصدون بعض التماثيل التي بالبراري بديار مصر باضميم وغيرها، يرصدون التمثال مدة لا يتطهرون طهر المسلمين ولا يصلون صلاة المسلمين ولا يقرؤون حتى يتعلق الشيطان تلك الصورة فيراها تتحرك، فيطمع فيها أو غيرها فيرى شيطاناً قد خرج له فيسجد لذلك الشيطان حتى يقضي بعض حوائجه، ومثل هؤلاء كثير في شيوخ الترك الكفار يسمونه البوشت وهو المخنث عندهم إذا طلبوا منه بعض هذه الأمور أرسلوا إليه بعض من ينكحه ونصبوا له حركات عالية في ليلة ظلماء وقربوا له خبزاً وميتة، وغنوا غناء يناسبه بشرط أن لا يكون عنده من يذكر الله، ولا هناك شيء فيه شيء من ذكر الله، ثم يصعد ذلك الشيخ المفعول به في الهوى، ويرون الدف يطير في الهوى، ويضرب من مد يديه إلى الخبز ويضرب الشيطان بآلات اللهو وهم يسمعون، ويغني لهم الأغاني التي كانت تغنيها آباؤهم الكفار، ثم قد يغيب وكذلك الطعام وقد نقل إلى بيوت البوشت وقد لا يغيب، ويقربون له ميتة يحرقونها بالنار فيقضي بعض حوائجهم، ومثل هذا كثير جداً للمشركين فالذي يجري عند المشاهد من جنس ما يجري عند الأصنام.

(سعد: أتظن يا أخ سعيد أن عند هذه الأصنام شياطين تُضِلُّ من أشرك بالله وتقضي أغراضهم؟)

سعد: وقد تيقنت بطرق متعددة أن ما يشرك به من دون الله من صنم وقبر وغير ذلك تكون عنده شياطين تضل من أشرك به، وأن تلك الشياطين لا يقضون إلا بعض أغراضهم، وإنما يقضون بعض أغراضهم إذا حصل لهم من الشرك والمعاصي ما يحبه الشيطان، وقد ينهاه عما أمر به من التوحيد والإخلاص والصلوات والخمس وقراءة القرآن ونحو ذلك، والشياطين تغوي الإنسان بحسب ما تطمع منه، فإن كان ضعيف الإيمان أمرته بالكفر البين، وإلا أمرته بما هو فسق أو معصية، وإن كان قليل العلم أمرته بما لا يعرف أنه مخالف للكتاب والسنة، وقد وقع في هذا النوع كثير من الشيوخ الذين لهم نصيب وافر من الدين والزهد والعبادة، لكن لعدم علمهم بحقيقة الدين الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم طمعت فيهم الشياطين حتى أوقعوهم فيما يخالف الكتاب والسنة، وقد جرى لغير واحد من أصحابنا المشايخ يستغيث بأحدهم بعض أصحابه فيرى الشيخ في اليقظة حتى قضى ذلك المطلوب، وإنما (هي) شياطين تتمثل للمشركين الذين يدعون غير الله، والجن بحسب الإنس فالكافر للكفر والجاهل للجاهل والفاجر للفاجر وأما أهل العلم والإيمان فأتباع الجن لهم كأتباع الإنس يتبعونه فيما أمر الله به ورسوله، وكان رجل يباشر التدريس ويتنسب إلى الفتيا كان يقول: النبي صلى الله عليه وسلم يعلم مالا يعلمه الله ويقدر

على مالا يقدر الله عليه، وإن هذا السر انتقل بعده إلى الحسن. ثم انتقل إلى ذرية الحسن إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي.

وقالوا هذا مقام القطب الغوث الفرد الجامع. وكان شيخ آخر معظم عند أتباعه يدعى هذه المنزلة ويقول إنه المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه يتزوج عيسى ابنته وأن نواصي الملوك بيده والأولياء بيده، يولي من يشاء ويعزل من يشاء، وأن الرب يناجيه دائماً وأنه الذي يمد حملة العرش وحيتان البحر، وقد عزر تعزيراً بليغاً في يوم مشهود في حضرة من أهل المسجد الجامع يوم الجمعة بالقاهرة، فعرفه الناس وانكسر بسببه أشباهه من الدجاجلة.

(سعد: ما الذي يقول هؤلاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥] وما هو تأويلهم الباطل لهذه الآية؟)

سعيد: ومن هؤلاء من يقول في قوله سبحانه وبحمده ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان: ٥] أن الرسول هو الذي يسبح ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ومنهم من يقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم مفاتيح الغيب الخمس التي قال النبي صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ﴾ [لقمان: ٣٤]. وقال إنه علمها بعد أن أخبر أنه لا

يعلمها إلا الله ومنهم من قال أسقط الربوبية وقل في الرسول ما شئت، ومنهم من يقول نحن نعبد الله ورسوله، ومنهم من يأتي قبر الميت فيقول اغفر لي وارحمني ولا توقفني على زلة إلى أمثال هذه الأمور التي يتخذ فيها المخلوق آلهاً.

(سعد: قل زادك الله علماً عن هذه السنن المأثورة).

سعيد: أقول وهذه سنة مأثورة، وطريقة مسلوكة، والله غير مهجورة، وضلالة واضحة مشهورة، وبدعة مشهودة غير منكورة، وأعلامها مرفوعة منشورة، ورياتها منصوبة غير مكسورة، وبراهينها غير محدودة ولا محصورة، ودلائلها في كثير من المصنفات والمناظيم مذكورة، كما قال ذلك في البردة وبين في ذلك قصده.

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

ولو نطيل بذكر هذه الأخبار لحررنا منها أسفاراً، فلنكف عن قلم اليراع (؟) في هذا الميدان، فالحكم والله لا يخفى على ذي عيان، بل أجلى من ضياء الشمس في بالبيان.

فلما استقر هذا في نفوس عامتهم، تجد أحدهم إذا سئل عمن ينهاهم ما يقول هذا؟ فيقول فلان ما ثم عنده إلا الله. لما استقر في نفوسهم أن يجعلوا من الله إلهاً آخر. وهذا كله وأمثاله وقع نحن بمصر وهؤلاء مستخفون بتوحيد الله، ويعظمون دعاء غير الله من الأموات، فإذا أمروا

بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا بالله كما أخبر الله تعالى عن المشركين بقول: ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٦] . فاستهزؤوا بالرسول لما نهاهم عن الشرك وقال عن المشركين: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الصافات: ٣٥ - ٣٧]. وقال تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ [ص: ٤ -٥].

وما زال المشركون يسفهون الأنبياء ويصفونهم بالجنون والضلال والسفاهة كما قال قوم نوح لنوح وعاد لهود عليهما السلام: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الأعراف: ٧٠] فأعظم ما سفهوه لأجله وأنكروه هو التوحيد، وهكذا تجد من فيه شبه من هؤلاء من بعض الوجوه إذا رأى من يدعو إلى توحيد الله وإخلاص الدين له وأن لا يعبد الإنسان إلا الله ولا يتوكل إلا عليه استهزأ بذلك لما عنده من الشرك.

(سعد: لقد شاهدت يا أخ سعيد بعض المشاهد أحسن عمارة من المساجد؟)

سعيد: وكثير من هؤلاء يخربون المساجد، ويعمرون المشاهد، فتجد المسجد الذي يبنى للصلوات الخمس معطلاً مخرباً ليس له كسوة إلا من الناس وكأنه خان من الخانات، والمشهد الذي بُني على الميت فعليه الستور وزينة الذهب والفضة والرخام، والنذور تغدو إليه وتروح، فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وآياته ورسوله وتعظيمهم للشرك؟ فإنهم يعتقدون أن دعاءهم للميت الذي بني له المشهد والاستغاثة به أنفع لهم من دعاء الله والاستغاثة به في البيت الذي بني لله عز وجل، ففضلوا البيت الذي بني لدعاء المخلوق على البيت الذي بني لدعاء الخالق.

وإذا كان لهذا وقف ولهذا وقف كان وقف الشرك أعظم عندهم مضاهاة لمشركي العرب الذين ذكر الله حالهم في قوله: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا ﴾ [الأنعام: ١٣٦]. الآية. كانوا يجعلون له زرعاً وماشية ولآلتهم زرعاً وماشية فإذا نضب نصيب آلهتهم أخذوا من نصيب الله فوضعوه فيها وقالوا: الله غني وآلهتنا فقيرة، فيفضلون ما يجعل الله لغير الله على ما يجعل لله، وهكذا حال أهل الوقوف والنذور التي تبذل عندهم للمشاهد أعظم عندهم مما يبذل للمساجد ولعمار المساجد والجهاد في سبيل الله.

(سعد: كيف حال هؤلاء، في الصلوات وعند القبور وكيف حالهم عند تلاوة القرآن؟)

سعيد: وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه بكى عنده وخضع ويدعو ويتضرع ويحصل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور القلب مالا يحصل له مثله في الصلوات الخمس والجمعة وقيام الليل وقراءة القرآن، فهل هذا الأمر إلا من حال المشركين المبتدعين؟ لا الموحدين المخلصين المتبعين لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومثل هذا إذا سمع الأبيات يحصل له من الحضور والخشوع والبكاء مالا يحصل له مثله عند سماع آيات الله، فيخشع عند سماع المبتدعين المشركين، ولا يخشع عند سماع المتقين المخلصين، بل إذا سمعوا آيات الله استثقلوها وكرهوها واستهزؤوا بها، فيجعل له أعظم نصيب من قوله: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٥]. وإذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية، والسن لاغية كأنهم صم عمي، وإذا سمعوا الأبيات حضرت قلوبهم، وسكتت ألسنتهم، وسكنت حركاتهم: حتى لا يشرب العطشان منهم، ومن هؤلاء من إذا كانوا في سماعهم فأذن المؤذن قالوا نحن في شيء أفضل مما دعانا إليه، ومنهم من يقول كنا في الحضرة فإذا قمنا إلى الصلاة صرنا إلى الباب، وقد سألني بعضهم عمّن قال ذلك من هؤلاء الشيوخ الضلال فقلت كان في حصرة الشيطان فصار على باب الله، فإن البدع والضلال فيها من حضور الشيطان ما قد فصل في غير هذا الموضع.

(سعد: زدني زادك الله يا أخ سعيد عن بعض حكايات هؤلاء؟)

(**سعيد**: والذين جعلوا دعاء الموتى من الأنبياء والأئمة والشيوخ أفضل من دعاء الله أنواع متعددة، منهم من تقدم، ومنهم من يحكي أنواعاً من الحكايات فلم يخرجه، ودعا بعض المشايخ الموتى فأخرجه إلى بلاد الإسلام وحكاية أن بعض المشايخ قال لمريده إذا كانت لك إلى الله حاجة فتعال إلى قبري، وآخر قال فتوسل إلى الله بي، وآخر قال قبر فلان هو الترياق المجرب، فهو وأشباهه يرجحون هذه الأدعية على أدعية المخلصين لله مضاهاة للمشركين، وهؤلاء يتمثل لكثير منهم صورة شيخه الذي يدعوه فيظنه إياه أو ملكاً على صورته، وإنما هو الشيطان أغواه، ومن هؤلاء من إذا نزلت به شدة لا يدعو إلى شيخه ولا يذكر إلا اسمه قد لهج به كما يلهج الصبي بذكر أمه، فيتعس أحدهم فيقول يا فلان، وقد قال الله تعالى للمؤمنين (فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدَّ ذكرا) ومن هؤلاء من يحلف بالله ويكذب، ويحلف بشيخه وإمامه فيصدق، فيكون شيخه عنده وفي صدره أعظم.

(سعد: أي الفريقين أحق بالاستهزاء بآيات الله ورسوله من كان يأمر بدعاء الموتى والاستغاثة بهم أم من كان يأمر بدعاء الله؟)

سعيد: فإذا كان دعاء الموتى مثل الأنبياء والصالحين يتضمن هذا الاستهزاء بالله وآياته ورسوله فأي الفريقين أحق بالاستهزاء بآيات الله ورسوله؟ من كان يأمر بدعاء الموتى والاستغاثة بهم مع ما يترتب على ذلك من الاستهزاء بالله وآياته ورسوله، أو من كان يأمر بدعاء الله وحده لا

شريك له كما أمرت رسله؟ ويوجب طاعة الرسول ومتابعته في كل ما جاء به؟ وأيضاً فإن هؤلاء الموحدين من أعظم الناس لجانب الرسول تصديقاً له فيما أخبر، وطاعة له فيما أمر، واعتناء بما بعث به، ولتمييز ما روي عنه من الصحيح والضعيف والصدق والكذب، واتباع ذلك دون ما خالفه عملاً بقوله تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣].

(سعد: ما هي عمدة أولئك الضلال أشباه المشركين؟)

سعيد:- وأما أولئك الضلال أشباه المشركين والنصارى فعمدتهم إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة أو منقولة عمن لا يحتج بقوله، إما أن تكون كذباً عليه، وإما أن تكون غلطاً منه إذ هي نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم، وإن اعتصموا بشيء مما أثبت عن الرسول حرفوا الكلم عن مواضعه، وتمسكوا بمتشابهه وتركوا محكمه، كما فعل النصارى، هذا ما علمته ينقل عن أحد من العلماء لكنه موجود في كلام بعض الناس مثل الشيخ يحيى الصرصري ففي شعره قطعة منه، والشيخ محمد بن النعمان وكتاب المستغيثين بالنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والمنام وهؤلاء لهم صلاح ودين، لكن ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام، والذين يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام، ومعرفة الحلال والحرام، وليس لهم (دليل) شرعي ولا نقل عن عالم مرضي، بل عادة جروا عليها كما جرت

عادة كثير من الناس بأنه يستغيث شيخه في الشدائد ويدعوه وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم ولهم صلاح وعلم وزهد إذا نزل به أمر خطا إلى جهة الشيخ عبدالقادر خطوات معدودة واستغاث له وهذا يفعله كثير من الناس ولهذا لما نبههم من فضلائهم تنبهوا وعلموا أن ما كانوا عليه ليس من دين الإسلام، بل هو مشابهة لعباد الأصنام، ونحن نعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأمته أن يدعو أحداً من الأموات لا الأنبياء ولا غيرهم بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها كما أنه لم يشرع السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه، ولهذا ما بينت المسألة قط لمن يعرف دين الإسلام إلا تفطن لهذا وقال هذا أصل الإسلام، وكان بعض أكابر الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول: هذا أعظم ما بينه لنا لعلمه أن هذا أصل الدين، وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرى يدعون الأموات ويسألونهم ويستجيرون بهم ويتضرعون إليهم.

(سعد: قرأت فيما قرأت أن الذي يفعلونه بالأموات أعظم؟)

سعيد: ربما كان الذين يفعلونه بالأموات أعظم لأنهم إنما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم فيدعون دعاء المضطر راجين قضاء حاجاتهم بدعائه أو الدعاء به أو الدعاء عند قبره بخلاف عبادتهم للذي دعاهم إياه

فإنهم يفعلونه في كثير من الأوقات على وجه العادة والتكلف حتى إن العدو الخارج عن شريعة الإسلام لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم قال بعض الشعراء: يا خائفين من التتر * لوذوا بقبر أبي عمر * ينجيكمو من الضرر فقلت لهؤلاء الذين يستغيثون بهم لو كانوا معكم في القتال لانهزموا كما انهزم المسلمون يوم أحد فإنه كان قد قضي أن العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك ولحكمة كانت لله في ذلك، ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة لعدم القتال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله، فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر بإخلاص الدين لله والاستعانة به، وأنهم لا يستعينون إلا إياه، ولا يستغيثون بملك مقرب ولا نبي مرسل.

(سعد: كيف كان حال المسلمين حينما صدقوا في الإستغاثة بالله أيام حرب التتر؟)

سعيد: فلما أصلح الناس أمورهم وصدقوا في الاستغاثة بربهم نصرهم الله على عدوهم نصراً عزيزاً لم يتقدم نظيره، ولم يهزم التتار مثل الهزيمة أصلاً لما صح من توحيد الله وطاعة رسوله بما لم يكن قبل ذلك، فالله ينصر رسله ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]. كما قال تعالى في يوم بدر (إذ تستغيثون ربكم). وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في كل يوم ((يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث)) وفي لفظ ((أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين،

ولا إلى أحد من خلقك)) وهؤلاء يدعون الميت والغائب فيقول أحدهم: بك أستغيث، بك أستجير، أغثنا أجرنا، ويقول أنت تعلم ذنوبي، ومنهم من يقول للميت: اغفر لي وارحمني وتب علي، ونحو ذلك. ومن لم يقل هذا من عقلائهم فإنه يقول: أشكو إليك ذنوبي، وأشكو إليك عدوي، وأشكو إليك جور الولاة، وظهور البدع، أو جدب الزمان وغير ذلك، فيشكون إليه ما حصل من ضرر في الدين والدنيا، ومقصوده أن الشكوى أن يشكيه فيزيل ذلك الضرر، وقد يقول مع ذلك للميت أنت تعلم ما نزل بنا من الضرر، وأنت تعلم ما فعلته من الذنوب فيجعل الميت والحي والغائب عالماً بذنوب العباد ومجرياتهم التي يمتنع أن يعلمها بشر حي أو ميت.

(سعد: أليس هؤلاء عقلاء يدركون خطأهم؟)

سعيد: وعقلائهم يقولون مقصودنا أن يسأل الله لنا ويظنون أنهم إذا سألوه بعد موته أن يسأل الله لهم فإنه يسأل الله لهم فإنه يسأل ويشفع كما كان يسأل ويشفع لما سأله الصحابة الاستسقاء وغيره، وكما يشفع يوم القيامة إذا سئل الشفاعة، ولا يعلمون أن سؤال الميت والغائب غير مشروع البتة، ولم يفعله أحد من الصحابة، بل عدلوا عن سؤاله وطلبوا الدعاء منه، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والصالحين وغيرهم لا يطلب من أحدهم بعد موته من الأمور ما كان يطلب منه في حياته، انتهى. كلام الشيخ رحمه الله ملخصاً.

(سعد: هل لك زيادة إيضاح على ما ذكرته في إجاباتك المسددة؟)

سعيد: فانظر رحمك الله إلى ما ذكره هذا الإمام من أنواع الشرك الأكبر الذي قد وقع في زمانه ممن يدعي العلم والمعرفة وينتصب للفتيا والقضاء لكن لما نبههم الشيخ رحمه الله على ذلك، وبين لهم أن هذا من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، تنبه من تنبه منهم وتاب إلى الله وعرف أن ما كان عليه شرك وضلال، وإنقاد للحق، وهذا مما يبين لك غربة الإسلام في ذلك الوقت عند كثير من الأنام، وأن هذا مصداق ما تواترت به الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لتتبعن سنن من كان قبلكم)) الحديث. أو قوله: ((بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ)) وبهذا ينكشف لك ويتضح عندك بطلان ما عليه كثير من أهل الزمان، من أنواع الشرك والبدع والحدثان، فلا تغتر بما هم عليه، وهذه هي البلية العظيمة، والخصلة القبيحة الذميمة، وهي الاغترار بالآباء والأجداد، وما استمر عليه عمل كثير من أهل البلاد، وتلك الحجة التي انتحلها أهل الشرك والكفر والعناد، كما حكى الله عنهم ذلك في محكم التنزيل، من غير شك ولا تأويل، حيث قال وهو أصدق القائلين، حكاية عن فرعون اللعين، أنه قال لموسى وأخيه هارون الكريمين ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾ [طه: ٥١]. فأجابه عليه السلام بقوله: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [طه:٥٢].

فمن امتطى كاهل- الصدق والوفاء، وسلم من التعصب والعناد والجفاء، وتوسط في المحجة، وقنع في قبول الحق بالحجة، كان ذلك طريقه ونهجه وأشرق في صدره مصباح القبول، وأوقد فيه بزيت المعرفة والوصول، وكان من ضوء التوحيد على حصول، قال ابن القيم رحمه الله في الإغاثة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لا تتخذوا قبري عيداً)) وقال ((اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) وفي اتخاذها عيداً من المفاسد ما يغضب لأجله من في قلبه وقار لله وغيره على التوحيد، ولكن * ما لجرح بميت إيلام * منها الصلاة إليها والطواف بها، واستلامها وتعفير الخدود على ترابها وعبادة أصحابها، وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم.

(سعد: علمت أن من أهم الأمور سد الذريعة الموصلة إلى الشرك بالله فاضرب لي مثلاً وصوراً من ذلك؟)

سعيد: وكل من شم أدنى رائحة من العلم يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلى ذلك، وأنه صلى الله عليه وسلم أعلم بعاقبة ما نهى عنه وإنه يؤول إليه، وإذا لعن من اتخذ القبور مساجد يعبد الله فيها، فكيف بملازمتها واعتياد قصدها وعبادتها، ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبور، وما أمر به وما نهى عنه وما عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضاداً للآخر فنهى عن اتخاذها

مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ونهى عن تسريجها وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل بل عليها، ونهى عن أن تتخذ عيداً وهؤلاء يتخذونها أعياداً، ونهى عن تشريفها وأمر بتسويتها كما في صحيح مسلم عن علي رضي الله عنه، وهؤلاء يرفعونها ويجعلون عليها القباب، ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه كما في صحيح مسلم عن جابر، ونهى عن الكتابة كما رواه الترمذي في صحيحه عن جابر، ونهى أن يزاد عليها غير ترابها كما رواه أبو داود عن جابر، وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن، ويزيدون على ترابها بالجص والآجر والأحجار، وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجاً ووضعوا لها مناسك، حتى صنف بعضهم في ذلك كتاباً سماه مناسك حج المشاهد.

ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عباد الأصنام، فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته، وبين ما شرعه هؤلاء، والنبي صلى الله عليه وسلم أمر بزيارة القبور لأنها تذكر الآخرة، وأمر الزائر أن يدعو لأهل القبور، ونهاه أن يقول هجراً. فهذه الزيارة التي أذن رسول الله فيها لأمته وعلمهم إياها، هل تجد فيها شيئاً مما يعتمد عليه أهل الشرك والبدع؟ أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه؟ وما أحسن ما قاله الإمام أحمد رحمه الله: (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح أولها) ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، عوضوا عن ذلك بما أحدثوا من البدع والشرك، ولقد جرد السلف الصالح

التوحيد وحملوا جانبه، حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أراد الدعاء جعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا، وقد نص على ذلك الأئمة الأربعة أن يستقبل القبلة للدعاء حتى لا يدعو عند القبر فإن الدعاء عبادة.

(سعد: لماذا شرع الدعاء للميت والصلاة عليه ألا يكون ذلك دليل حاجته للدعاء له والاستغفار له؟)

سعيد: وبالجملة فإن الميت قد انقطع عمله فهو محتاج إلى من يدعو له، ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء ما لم يشرع مثله للحي ومقصود الصلاة على الميت الاستغفار له والدعاء له وكذلك الزيارة مقصودها الدعاء للميت والإحسان إليه وتذكير الآخرة فبدل أهل البدع والشرك قولاً غير الذي قيل لهم، فبدلوا الدعاء له بدعائه نفسه والشفاعة له بالاستشفاع به، والزيارة التي شرعت إحساناً إلى الميت وإلى الزائر بسؤال الميت والاقسام به على الله وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو محض العبادة، وحضور القلب عندها وخشوعه أعظم منه في المساجد ثم ذكر حديث ذات أنواط، ثم قال فإذا كان اتخاذ الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف لها اتخاذ إله مع الله وهم لا يعبدونها ولا يسألونها، فما الظن بالعكوف حول القبر ودعائه والدعاء عنده والدعاء به؟ وأي نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون؟

(سعد: إن البون شاسع بين ما عليه السلف وبين أولئك؟)

سعيد: ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم في هذا الباب وغيره علم أن ما بين السلف وبينهم أبعد مما بين المشرق والمغرب. والأمر والله أعظم مما ذكرنا، وعمى الصحابة قبر دانيال بأمر عمر رضي الله عنه، ولما بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التي بويع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها أرسل إليها وقطعها، قال عيسى بن يونس هو عندنا من حديث ابن عوف عن نافع فإذا كان هذا فعله في الشجرة التي ذكرها الله في القرآن، وبايع تحتها الصحابة رضي الله عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فماذا حكمه فيما عداها؟ وأبلغ من ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هدم مسجد الضرار ففيه دليل على هدم المساجد التي هي أعظم فساداً منه كالمبنية على القبور وكذلك قبابها فتجب المبادرة إلى هدم ما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعله، والله يقيم لدينه من ينصره ويذب عنه، وكان بدمشق كثير من هذه الأنصاب فيسر الله سبحانه كسرها على يد شيخ الإسلام، وحزب الله الموحدين، وكان العامة يقولون للشيء منها إنه يقبل النذر، أي يقبل العبادة من دون الله، فإن النذر عبادة يتقرب بها الناذر إلى المنذور، ولقد أنكر السلف التمسح بحجر المقام الذي أمر الله أن يتخذ منه مصلى، قال قتادة في الآية: إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها، ذكر لنا من رأى أثر أصابعه فما زالت هذه تمسحه حتى أخلولق (؟).

سعد: (أيهما يا ترى أعظم فتنة أفتنة الأنصاب أم فتنة أصحاب القبور.)

سعيد: وأعظم من الفتنة بهذه الأنصاب فتنة أصحاب القبور وهي أصل عباد الأصنام كما ذكر الله في سورة نوح في قوله: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ [نوح: ٢٣]. الآية. ذكر السلف في تفسيرها أن هؤلاء أسماء رجال صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم وتعظيم الصالحين إنما هو باتباع ما دعوا إليه دون اتخاذ قبورهم أعياداً وأوثاناً، فأعرضوا عن المشروع واشتغلوا بالبدع.

ومن أصغى إلى كلامه وتفهمه أغناه عن البدع والآراء ومن بعد عنه فلابد أن يتعوض بما لا ينفعه، كما أن من عمر قلبه بمحبة الله وخشيته والتوكل عليه أغناه عن محبة غيره وخشيته والتوكل عليه، فالمعرض عن التوحيد مشرك شاء أم أبى، والمعرض عن السنة مبتدع شاء أم أبى، والمعرض عن محبة الله عبد الصور شاء أم أبى.

سعد: هل يمكنك يا أخ سعيد أن تقسم لي هذه الأمور المبتدعة.

سعيد: وهذه الأمور المبتدعة عند القبور أنواع:

(النوع الأول): أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته كما يفعله كثير وهؤلاء من جنس عباد الأصنام ولهذا يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت كما يتمثل لعباد الأصنام، وكذلك السجود للقبر وتقبيله والتمسح به.

(النوع الثاني): أن يسأل الله به وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة إجماعاً.

(النوع الثالث): أن يظن أن الدعاء عنده مستجاب وأنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد القبر لذلك. فهو أيضاً من المنكرات إجماعاً وما علمت فيه نزاعاً بين أئمة الدين وإن كان كثير من المتأخرين يفعله. وبالجملة فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام ولم يتخلص منها إلا الحنفاء أتباع ملة إبراهيم. وعبادتها في الأرض من قبل نوح، وهياكلها ووقوفها وسدنتها وحجابها والكتب المصنفة في عبادتها طبق الأرض. قال إمام الحنفاء عليه السلام ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦]. وكفى في معرفتهم أنهم أكفر أهل الأرض بما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ [الإسراء: ٨٩]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ

﴿ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦] . ولو لم تكن الفتنة بعبادتهم الأصنام عظيمة لم أقدم عبادها على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها، يشاهدون مصارع أخوانهم وما حل بهم ولا يزيدهم ذلك إلا حباً وتعظيماً، ويوصي بعضهم بعضاً بالصبر عليها. انتهى كلام الشيخ رحمه الله ملخصاً.

سعد: من الرسائل المفيدة الرسالة السنية لشيخ الإسلام ابن تيمية فاقرأ علي يا أخي ما قاله في هذه الرسالة عن الخوارج.

سعيد: وقال الشيخ تقي الدين في (الرسالة السنية) لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين وأمره صلى الله عليه وسلم بقتلهم قال فإذا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه من انتسب إلى الإسلام والسنة ففي هذه الأزمان قد مرق أيضاً من الإسلام وذلك بأسباب منها الغلو الذي ذمه الله في كتابه حيث قال: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ [النساء: ١٧١]. الآية، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حرق الغالية من الرافضة وأمر بأخاديد خدَّت عند باب كندة فقذفهم فيها. واتفق الصحابة على قتلهم لكن ابن عباس رضي الله عنه مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق وهو قول أكثر العلماء. وقصصهم معروفة عند العلماء، وكذلك الغلو في بعض المشايخ بل الغلو في علي بن أبي طالب بل الغلو في الشيخ ونحوه فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول يا سيدي فلان انصرني أو أغثني أو ارزقني أو أجرني أو

أنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل. فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبدوه وحده لا يجعلون معه إلهاً آخر.

والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم يقولون إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله(فبعث الله رسوله ينهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ [الإسراء: ٥٦ – ٥٧]. الآية، قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً إلى أن قال:

سعد: ما هو أصل الدين وما هو التوحيد.

سعيد: وعبادة الله هي أصل الدين وهي التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾–وقال- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق التوحيد ويعلم أمته حتى قال رجل ما شاء الله وشئت قال ((أجعلتني لله نداً؟ قل ما شاء الله وحده)) ونهى عن الحلف

بغير الله فقال ((من حلف بغير الله فقد أشرك)) وقال في مرض موته ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) يحذر ما فعلوا وقال ((اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد)) ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا الصلاة عندها، وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان تعظيم القبور، ولهذا اتفق العلماء على أن من سلم على النبي صلى الله عليه وسلم عند قبره فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل عملاً إلا به، ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨]. ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام، وأعظم آية في القرآن آية الكرسي قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال صلى الله عليه وسلم ((من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة)) ولا إله إلا الله الذي تألهه القلوب عبادة واستعانة ورجاء وخشية وإجلالا، انتهى كلامه رحمه الله.

(سعد: هل لك تعليق على ما قرأناه من الرسالة السنية؟).

سعيد: فتأمل أول الكلام وآخره وتأمل كلامه فيمن دعا نبياً أو ولياً مثل أن يقول يا سيدي أغثني ونحوه إنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل- تجده صريحاً في تكفير أهل الشرك وقتلهم بعد الاستتابة وإقامة الحجة عليهم، وإن من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الآلهة فقد اتخذه إلهاً

مع الله لأن لا إلـه إلا هـو المـألوه الـذي يألهـه القلـب أي يقـصده بالعبـادة والدعوة والخشية والإجلال والتعظيم وإن زعـم أنـه لا يريـد إلا الـشفاعة والتقرب عند الله، لأنه بين أن هذا مطلوب المشركين الأولين، فاستدل عـلى ذلك بالآيات الصريحات القاطعات والله أعلم.

(سعد:- لابن تيمية كلام على قوله تعالى وما أُهلّ لغير الله به فـما هـذا الكلام؟)

سعيد:- وقال رحمه الله في الكلام عـلى قولـه تعـالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣] ظاهره أن ما ذبح لغير الله سواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحـريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم وقال فيه: باسم المسيح، ونحوه. كـما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله تعالى كان أزكى ممـا ذبحنـاه للحـم وقلنـا عليـه باسم الله فإن عبادة الله بالصلاة والنسك له أعظم من الاسـتعانة باسـمه في فواتح الأمور. والعبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستغاثة بغير الله فلو ذبـح لغير الله متقرباً إليه لحرم، وإن قال فيه باسم الله، كـما قـد يفعلـه طائفـة مـن منافقي هذه الأمة. وإن كان هؤلاء لا تباح ذبيحتهم بحـال لكـن يجتمـع في الذبيحة مانعان، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها مـن الـذبح للجـن انتهـى كلام الشيخ رحمه الله.

(سعد: أعطني رأيك صريحاً في كلام ابن تيمية؟)

سعيد:- فتأمل رحمك الله هذا الكلام وتصريحه فيه بأن من ذبح لغـير الله من هذه الأمة فهو كافر مرتد لا تباح ذبيحته لأنـه يجتمـع مانعـان الأول

أنها ذبيحة مرتد لا تباع بالإجماع الثاني: أنها مما أهل به لغير الله وقد حرم الله ذلك في قوله: (قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس، أو فسقاً أهل لغير الله به) وتأمل قوله ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن والله أعلم.

(سعد: قد وقعت يدي على كتابين مهمين كلاهما لشمس الدين ابن الجوزية الأول مدارج السالكين في شرح منازل إياك نعبد وإياك نستعين والآخر زاد المعاد من هدي خير العباد فهل تختار لنا فصلين من الكتابين لنحلي بهما مجلسنا جزاك الله خيراً؟)

سعيد:- قال ابن القيم في شرح المنازل في باب التوبة: وأما الشرك فهو نوعان: أكبر وأصغر، فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة: وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين. ولهذا قالوا لآلهتهم في النار قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٩٧ – ٩٨]. مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحي ولا تميت وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم، بل كلهم يحبون معبوديهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله. وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم

أعظم من محبة الله، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله وحده، ويغضبون لمنتقص معبوديهم وآلهتهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين، وإذا انتهكت حرمة من حرمات آلهتهم ومعبوديهم غضبوا غضب الليث إذا حرد، وإذا انتهكت حرمات الله لم يغضبوا لها، بل إذا قام المنتهك لها بإطعامهم شيئاً رضوا عنه ولم تتنكر له قلوبهم. وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده من دون الله على لسانه، إن قام وإن قعد، وإن عثر وإن مرض وإن استوحش، فذكر إلهه ومعبوده من دون الله هو الغالب على قلبه ولسانه وهو لا ينكر ذلك ويزعم أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده ووسيلته إليه، وهكذا كان عباد الأصنام سواء، وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر، وغيرهم اتخذوا من البشر، قال تعالى حاكياً عن أسلاف هؤلاء المشركين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر: ٣]. ثم شهد عليهم بالكفر والكذب وأخبر أن لا يهديهم فقال قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣]. فهذه حال من اتخذ من دون الله ولياً، يزعم أنه يقربه إلى الله، وما أعز من تخلص من هذا. بل ما أعز من لا يعادي من أنكره، والذي قام بقلوب هؤلاء المشركين وسلفهم، أن آلهتهم

تشفع لهم عند الله، وهذا عين الشرك، وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلها لله (*) قال الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ: ٢٢ – ٢٣] . إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع. والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع. إما مالك لما يريده عابده منه فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك، فإن لم يكن شريكاً له كان معيناً له وظهيراً فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده. فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مترتباً متنقلاً من الأعلى إلى ما دونه فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يظنها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة بإذنه فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً ونجاةً وتجريداً للتوحيد، وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها.

والقرآن مملوء من أمثال هذه الآية ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنته له ويظنه في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً وهذا هو الذي يحول بين المرء وفهم القرآن. ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك. ولكن الأمر كم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما تنقص عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية، وهذا لأن من لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمه وقع فيه

وأقره ودعا إليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره أو شر منه أو دونه فينتفض بذلك عرى الإسلام ويعود المعروف منكر أو المنكر معروفاً والسنة بدعة والبدعة سنة، ويكفَّر الرجل بمحض الإيمان وتجريده التوحيد ويدَّع بتجريد متابعة الرسول ومفارقة الأهواء والبدع ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً والله المستعان.

ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم وهذا أصل شرك العالم، لأن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً لمن استغاث به وسأله قضاء حاجته أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها من جهله بالشافع والمشفوع له عنده. فإن الله تعالى لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، والله لم يجعل سؤال غيره سبباً لإذنه وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن، فهو بمنزلة من استعان في حاجة بما يمنع حصولها، وهذه حالة كل مشرك. والميت محتاج إلى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له كما أوصانا النبي صلى الله عليه وسلم إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ونسأل لهم العافية والمغفرة، فعكس هذا المشركون وزاروهم زيادة العبادة واستقضاء الحوائج والاستغاثة بهم، وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد وسموا قصدها حجاً واتخذوا عندها الوقفة وحلق الرأس فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبتهم إلى تنقيص الأموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأولياء الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئاً بذمهم وعيبهم ومعاداتهم،

وتنقصوا من أشركوهم به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وأنهم أمروهم به وأنهم يوالونهم عليه، وهؤلاء أعداء الرسل والتوحيد في كل زمان ومكان.

وما أكثر المستجيبين لهم، ولله درّ خليله إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ إبراهيم: ٣٥ ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥ – ٣٦] وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم إلى الله تعالى. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

فتأمل رحمك الله كلام هذا الإمام وتصريحه بأن من دعا الموتى وتوجه إليهم واستغاث بهم ليشفعوا له عند الله فقد فعل الشرك الأكبر الذي بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بإنكاره وتكفير من لم يتب منه وقتاله ومعاداته وإن هذا قد وقع في زمانه، وأنهم غيروا دين الرسول صلى الله عليه وسلم وعادوا أهل التوحيد الذين يأمرونهم بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وتأمل أيضاً قوله: وما أعز من تخلص من هذا بل ما أعز من لا يعادي من أنكره، يتبين لك الأمر إن شاء الله، ولكن تأمل أرشدك الله قوله: وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من عادى المشركين إلى آخره يتبين لك أن الإسلام لا يستقيم إلا بمعاداة أهل هذا الشرك، فإن لم يعادهم فهو منهم وإن لم يفعله والله أعلم.

وقال رحمه الله في كتاب (زاد المعاد في هدي خير العباد) في الكلام على غزوة أهل الطائف وما فيها من الفقه قال: ومنها أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على عدمها وإبطالها يوماً واحداً فإنها من شعائر الكفر والشرك وهي أعظم المنكرات فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة، وهكذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً وطواغيت تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد لأجل التعظيم وللتبرك والتقبيل لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى أو أعظم شركاً بها وعندها والله المستعان، ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق وتحي وتميت، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة، وأخذوا مأخذهم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم، وصار المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والسنة بدعة والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير وهرم عليه الكبير، وطمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقل العلماء، وغلبت السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الروم: ٤١] ولكن لا تزال طائفة من الأمة المحمدية قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

(سعد: قد سئل ابن تيمية عن قتال التتار مع تمسكهم بالشهادتين ظاهراً فهل تذكر لي إجابته رحمه الله وما هو تعليقكم عليه؟)

سعيد: وقال الشيخ تقي الدين لما سئل عن قتال التتار مع تمسكهم بالشهادتين ولما زعموا من إتباع أصل الإسلام: كل طائفة ممتنعة من التزام شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة من مقاتلي هؤلاء القوم وغيرهم، فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين ملتزمين بعض شرائعه كما قاتل أبو بكر والصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة، وعلى ذلك اتفق العلماء بعدهم بعد سابقة مناظرة عمر لأبي بكر رضي الله عنه فاتفق الصحابة على القتال على حقوق الإسلام عملاً بالكتاب والسنة وكذلك ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من عشرة أوجه عن الخوارج والأمر بقتالهم، وأخبر أنهم شر الخلق والخليقة مع قوله ((تحقرون صلاتكم من عند صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم)).

فعلم أن مجرد الاعتصام بالإسلام، مع عدم التزام شرائعه العظام ليس بمسقط للقتال، فالقتال واجب حتى يكون الدين كله لله وحتى لا تكون فتنة، فمتى كان الدين لغير الله فالقتال واجب فأيما طائفة امتنعت عن الصلوات المفروضات، أو الصيام، أو الحج، أو عن التزام تحريم الدماء والأموال، أو الخمر، أو الزنا، أو الميسر، أو نكاح ذوات المحارم، أو عن التزام جهاد الكفار، أو ضرب الجزية على أهل الكتاب، أو غير ذلك من التزام واجبات الدين، أو محرماته التي لا عذر لأحد في جحودها، أو تركها

الذي يكفر الواحد بجحودها، فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء. وإنما اختلف الفقهاء في الطائفة الممتنعة إذا أصرت- على ترك بعض السنن كركعتي الفجر أو الآذان، أو الإقامة عند من لا يقول بوجوبها ونحو ذلك من الشعائر، فهل تقاتل الطائفة الممتنعة على تركها أم لا؟

فأما الواجبات أو المحرمات المذكورة ونحوها فلا خلاف في القتال عليها، وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة الخارجين على الإمام والخارجين عن طاعته كأهل الشام مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإن أولئك خارجون عن طاعة إمام معين أو خارجون عليه لإزالة ولايته.

وأما المذكورون فهو خارجون عن الإسلام بمنزلة مانعي الزكاة، أو بمنزلة الخوارج الذين قاتلهم علي رضي الله عنه، ولهذا افترقت سيرته رضي الله عنه في قتاله لأهل البصرة وأهل الشام، وفي قتاله لأهل النهروان، وإن كانت سيرته مع البصريين والشاميين سيرة الأخ مع أخيه ومع أخيه بخلاف ذلك.

وثبتت النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم بما استقر عليه إجماع الصحابة من قتال الصديق لمانعي الزكاة، وقتال علي للخوارج، انتهى كلامه رحمه الله.

فتأمل رحمك الله تصريح هذا الإمام في هذه الفتوى بأن من امتنع من شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة كالصلوات الخمس، أو الزكاة أو الحج، أو ترك المحرمات كالزنا، أو تحريم الدماء والأموال وشرب الخمر أو المسكرات، أو غير ذلك أنه يجب قتال الطائفة الممتنعة عن ذلك حتى يكون الدين كله لله، ويلتزموا شرائع الإسلام، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين ملتزمين شرائع الإسلام، وأن ذلك مما اتفق عليه الفقهاء من سائر الطوائف من الصحابة فمن بعدهم، وأن ذلك عمل بالكتاب والسنة، فتبين لك أن مجرد الاعتصام بالإسلام مع عدم التزام شرائعه ليس بمسقط للقتال، وأنهم يقاتلون قتال كفر وخروج عن الإسلام كما صرح به في آخر الفتوى بقوله: وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة مانعي الزكاة والله أعلم.

وقال في الإقناع من كتب الحنابلة التي يعتمد عليها عندهم في الفتوى: وأجمعوا على وجوب قتل المرتد، فمن أشرك بالله فقد كفر بعد إسلامه كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] أو جحد ربوبيته أو وحدانيته كفر لأن جاحد ذلك مشرك بالله تعالى إلى أن قال: قال الشيخ أو كان مبغضاً لرسوله، أو ما جاء به اتفاقاً، أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم كفر إجماعاً لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام قائلين: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣] .

(سعد: المذهب الحنفي من مذاهب أهل السنة والجماعة فهل نختم ما تحدثنا عنه بذكر كلام الحنفية مما هو شاهد على كلام ابن تيمية؟)

سعيد: وأما كلام الحنفية فقال في كتاب تبيين المحارم المذكورة في القرآن باب الكفر وهو وجحود الحق وإنكاره وهو أن ما ذكر في القرآن العظيم من المعاصي قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة: ٦] الآية وهو أكبر الكبائر على الإطلاق فلا كبيرة فوق الكفر إلى أن قال واعلم أن ما يلزم به الكفر أنواع فنوع يتعلق بالله سبحانه، ونوع يتعلق بالقرآن وسائر الكتب المنزلة، ونوع يتعلق بنبينا صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والملائكة والعلماء، ونوع يتعلق بالأحكام.

فأما ما يتعلق به سبحانه إذا وصف الله سبحانه بما لا يليق به بأن شبه الله سبحانه بشيء من المخلوقات أو نفي صفاته، أو قال بالحلول أو الاتحاد أو معه قديم غيره، أو معه مدبر مستقل غيره، أو اعتقد أنه سبحانه جسم أو محدث، أو غير حي، أو اعتقد أنه لا يعلم الجزئيات، أو سخر باسم من أسمائه، أو أمر من أوامره، أو وعده ووعيده، أو أنكرهما أو سجد لغير الله تعالى، أو سب الله سبحانه، أو ادعى أن له ولداً أو صاحبة، أو أنه متولد من شيء كائن عنه، أو أشرك بعبادته شيئاً من خلقه، أو افترى على الله سبحانه وتعالى الكذب بادعائه الإلهية والرسالة إلى أن قال: وما أشبه ذلك مما لا

يليق به سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً يكفر بهذه الوجوه لأجل سوء فعله عمداً أو هزلاً ويقتل إن أصر على ذلك، فإن تاب تاب الله عليه وسلم من القتل انتهى كلامه بحروفه.

وقال الشيخ قاسم في شرح الدر: النذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلاً يا سيدي فلان إن رد غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب أو الطعام أو الشمع كذا باطل إجماعاً لوجوه، منها أن النذر للمخلوق لا يجوز. ومنها أن ذلك كفر إلى أن قال: قد ابتلى الناس بذلك لاسيما في مولد أحمد البدوي. انتهى. فصرح بأن هذا النذر كفر يكفر به المسلم انتهى. والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

سعد: جزاك الله خيراً فقد أوضحت لي أشياء كثيرة كنت أجهلها عن القادة الأعلام وبالذات عن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب فذكرت لي نسبه وطلبه العلم وحالة الأمصار الدينية في وقته ومنهجه في الدعوة وأضحت لي كلام العلماء في المذاهب المعتبرة وأن ابن عبدالوهاب دعى إلى ما دعى إليه السلف الصالح. نسأل الله لنا ولك الثبات والاستقامة على دينه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حرر الاستجواب: ونقل الجواب من الرسالة الخامسة والسبعين من مجموع رسائل الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن جمع الشيخ سليمان بن سحمان وأشرف على طبعه وإخراجه إسماعيل بن سعد بن عتيق غرة شعبان ١٤٠٦هـ والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أعلامنا في سجل التاريخ

(٢)

الإمام محمد بن سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد خلق الخلق للعبادة والصلاة والسلام على نبي الهدى وعلى آله السادة وسلم تسليماً كثيراً وبعد:

فقد وثبت في منتصف القرن الثاني عشر وعلى هضاب الجزيرة العربية وثبة مقرنية عدنانية تنتمي في أصالتها العربية إلى جذور المجد جداً عن جد في أعماق التاريخ. لتقتلع جذور الشرك والإلحاد والجهل والفساد كان شبل هذه الوثبة وأسد عرينها القائد المظفر والإمام المنتصر تلميذ دعوة التوحيد والرائد الحامل رايتها المستبسل لنصرتها بالنفس والمال والحديد محمد بن سعود الموفي بالمواثيق والعهود. فقد أبرم صفقة البيعة وشد الوثاق بوضع كفه على كف علم الهداة الأعلام المجدد لما اندرس من معالم الإسلام الشيخ محمد بن عبدالوهاب فكانت الدولة وكان السلطان جمع الله لهما عز الدنيا وأبقى لهما ذكرى في العالمين.

ولما للإمامين من سابقة فضل بحسن السيرة وصفاء السريرة مما أباح لهما نعت الإمامة وتوجهما بتاج العز والكرامة. فكان حقاً علينا أن نتعرف على تلك الجهود ونصوب أبصارنا على صفحات تاريخهما المشرق لنجعل من ذلك نبراساً لسيرتنا فهم لنا سلف ونحن على أثرهم خلف. رأيت أن أسلوب القصة والحوار أو الاستجواب سبيلاً للاستفادة وطرداً للسآمة سيما وأن النشء يعجبه ذلك فها هو المقصود في ذكر سيرة الإمام محمد بن

سعود جمعتها من مراجع عدة واستشرت في إخراجها من أوده وأطلعته على المسودة ليكون هذا هو الرقم الثاني من سلسلة ((أعلامنا في سجل التاريخ)) بدأت بالإمام محمد بن عبدالوهاب وثنيت بالإمام محمد بن سعود والسلسلة المذكورة تبنيت إخراجها شفعاً لسلسلة التراث الإصلاحي في العقيدة والشريعة والتي أنشر بها مؤلفات علمائنا الأعلام خرج منها مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام. وكتاب القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس ولي فيما أكتبه وأنشره غاية ونهاية وهو رضاء الله ورجاء ثوابه وهو حسبي ونعم الوكيل وصلى الله على محمد.

إسماعيل بن سعد بن عتيق

في صباح يوم مشرق التف حول الأب أبناء يتسابقون لاستماع ما يقوله والدهم من توجيه وأمر وتعليم تيامناً بالحديث الشريف (بروا بآبائكم تبركم أبناؤهم) وهو محمد وأحمد وحامد ومحمود.

الأب لأبنائه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: نسأل الله أن يجعل اجتماعنا هذا اجتماعاً مرحوماً وتفرقنا تفرقاً معصوماً وأن لا يجعل فينا ولا منا شقياً ولا محروماً.

إن مجلسنا هذا كأي المجالس عادة يتبادل الناس فيها أطراف الحديث فماذا ترون يكون موضوع هذه الجلسة.

أحمد أنا أكبر إخوتي سناً وأرجوا أن يوافقوا لي على ما أطلب.

الجميع أطلب يا أحمد فنحن معك والفائدة مشتركة.

أحمد لقد درسنا بتوسع عن الدولة الأموية والدولة العباسية ودويلات صغيرة في مصر والشام وبلاد المغرب والعراق وكلها قامت على منهج خاص في نظام الحكم والإدارة وآخر ما درسناه عن الدولة العثمانية ولي رغبة في التعرف على امتداد تلك الدول الإسلامية في جزيرتنا العربية.

الأب: لقد أثقلت كاهلي بسؤالك فكأنك تريد أن أعطيك في جلسة واحدة تاريخ قرنين ونصف من الزمان وهذا لا ما لا أطيق.

أحمد: يا أبتي لعل الحديث يقتصر على جانب من جوانب دولتنا الفتية الدولة السعودية في الجزيرة العربية.

حامد: وأرجو أن يكون هذا الجانب هو جانب الدعوة والإصلاح في مضمار تصحيح المفاهيم للتصور الاعتقادي والشعائر التعبدية.

محمود: لقد قيل رب لاحق خير من سابق فلعل ما طلبه الأخوة هو أولى بالتركيز في هذه الجلسة وأرجو أن يتبعها جلسات أخرى.

الوالد: أما الآن فقد وضح لي معالم التحدث إليكم ومع هذا فإني سأقتصر في الحديث على المؤسس الأول للدولة السعودية في الجزيرة العربية الإمام محمد بن سعود.

الأبناء: جزاك الله خيراً فلنتهيأ جميعاً لما يقوله والدنا عن الإمام محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى.

الأب: محمد بن سعود جده مانع ينحدر من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وكانت إمرته لا تتجاوز حدود الدرعية الواقعة شمال مدينة الرياض على بعد نحو خمسة عشر كيلومتراً وربما لا يزيد سكانها آنذاك على آحاد الآلاف من البشر من بادية وحاضرة.

محمد: لا مؤاخذة يا والدي سأطرح سؤالاً أتصور أن الجميع يحتاج إلى جوابه وهو: هل فكر محمد بن سعود بتوسيع دولته ونفوذ إمرته على بلاد نجد والجزيرة العربية أم كيف كانت خطوات العمل التي جعلته يصل إلى ما وصل إليه.

الوالد: أحسنت على سؤالك ما كان لدى الأمير محمد بن سعود خطة عمل على توسيع نطاق أمرته على من سواه ولكن الذي حدث هو أن الشيخ محمد ابن عبدالوهاب عرض عليه دعوة الناس للتوحيد وإخراجهم من ظلمات الجهل والضلال. فقد كان عوام الناس على جهل مطبق جهل بالعقيدة جهل بالشريعة جهل أدى بهم إلى حياة تشبه حياة الجاهلية الأولى.

أحمد: التوحيد التوحيد كم تكررت هذه الكلمة على مسمعي وكم درسنا من الدروس الدينية في مراحل الدراسة مادة التوحيد ومع هذا فإني أحتاج إلى تحديد معنى كلمة التوحيد.

الجميع: بصوت واحد نعم نعم هذا ما نحتاج إليه.

الوالد: كلمة التوحيد بحروفها الخمسة تعني وحدانية الله بالذات والأسماء والصفات والأفعال ووحدانيته في العبادة والتشريع.

حامد: الذات- الأسماء- الصفات- الأفعال- العبادة- التشريع. هذه كلها معاني تحتاج إلى زيادة إيضاح.

محمود: لا نخرج عن سيرة الإمام محمد بن سعود إلى مادة الدين والتوحيد. وقد عهدنا أن أخبار الحكام والسلاطين والأمم من مادة التاريخ لا من مادة التوحيد والدين والذي تبحثون فيه.

محمود: اسمحوا لي يا إخوتي فأنا لا أفهم هذا الكلام وأرجو أن تكون الإجابة من الوالد بالتوضيح وزيادة البيان فإنني أجهل هذا الفن وأحتاج إليه في ديني وعقيدتي.

الوالد: بداية التصوف كان في زمن التابعين وغيرهم ويزعم المتصوفة أن من أئمة هذا المسلك الحسن البصري رحمه الله. وهو مأخوذ من الصفاء أو لبس الصوف ويرمزون بذلك بالزهد والقناعة وحقيقة الأمر أن الصوفية امتزجت بآراء فلسفية انتهت بأصحابها إلى القول بالفناء والوصول وطرح التكاليف الشرعية والتصوف والفلسفة صنوان ولهما جذور بالديانات البوذية والهندوكية. واليونانية ومسحة من الإسلام. والذي نجزم بتحريمه هو جعلهم الناس صنفين خاصة وعامة. فالخاصة لها حق الاختصاص فيما لا يحق للعامة كأن يكون الشيخ واسطة بين الله والمريد ويدعون ذلك بالرابطة الشريفة عند النقشبندية. وقد نسج المتصوفون ترَّهاة ونجزم بكفر قائلها ومن ذلك قول التيجانيين بأن جوهرة الكمال أفضل من القرآن الكريم. وبأن صلاة الفاتح كتمها رسول الله ﷺ حتى ولد أحمد تيجاني فبعث رسول الله ﷺ خصيصاً له ليعلمه صلاة الفاتح. ون الطرق الصوفية –القادرية والجشتية والأحمدية وقد تشعبت هذه الطرق وتفرعت في العالم الإسلامي في مشرقه ومغربه. وهذه الجبهة أوسع الجبهات لأنها تسيطر على العامة تحت ستار الإسلام. والزهد وتلتقي

هذه الطرق مع الجبهة الثالثة أرباب الخرافة والبدع من معظمي الأضرحة والمشاهد والمزارات بحجة حب الأولياء وإن لهم مكانة عند الله تعالى تمكنهم من الوساطة والشفاعة لهم عند الله وهذه الجبهة لها شبه رد عليها كثير من أئمة الدعوة من ذرية الإمام المصلح محمد بن عبدالوهاب وغيرهم ولنذكر لكم كتابين ترجعون إليهما عند إرادة التوسع في البحث والمطالعة.

الكتاب الأول: القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس تأليف العالم العلامة الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

وكتاب مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام. تأليف العالم الأزهري الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وغير هذين الإمامين جابه الخصوم برد المنطوق والمفهوم ومن أكثر من تبنى الردود العالم الأديب الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله أما الجبهة الثانية وهم أرباب الكلام ومن يقدمون العقل على النقل فقد تفرع من هذا المسلك الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية وهؤلاء وإن كان بحثهم عقائدي فهم أخطر في الموضوعية ممن سبق لأن الموضوع يتعلق بصفات الله وأفعاله وما له تبارك وتعالى من الأسماء الحسنى. وهذا البحث مزلة أقدام هلك فيه من هلك إلاَّ من عصم الله. ومسلك أئمة الدعوة في هذا هو ما علية السلف الصالح. إثبات ونفي بلا تشبيه وبلا تكييف والقول الفصل في هذا هو القاعدة أن القول في الصفات فرع من القول في الذات. فمن اعتقد أن لله ذاتاً لزمه إثبات الصفات.

أما الجبهة الرابعة وهم المشرعون والواضعون أحكاماً تشريعية فيما يحل ويحرم كاعتماد القوانين الوضعية والأعراف القبلية فهو شرك في التشريع السماوي وإحداث في دين الله وأحكامه مما اختص به تبارك وتعالى كما قال تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾. وكل هذه الجبهات الأربع تكاتفت على مناوأة المسلك السلفي القائم على النهج الذي عليه سلف الأمة في الاعتقاد والسلوك والالتزام بالشرائع ونتج من هذا الصراع الكلامي صراع مسلح قام الإمام محمد بن سعود بالهجوم أحياناً وبالدفاع حيناً آخر حتى نصره الله وأظهره واستمر الجهاد والكفاح في خلفه ولعلنا بهذا القدر نكتفي بما ذكرته من إيضاح للجبهات المناوئة للدعوة السلفية وهي الصوفية وأرباب الكلام. ومعظمي القبور والمشاهد. والطواغيت المشرعة في دين الله وأحكامه ما لم يأذن الله به.

وأقول لكم بالتأكيد أن محور الخلاف والنزاع الذي قام بين هذه الدولة الناشئة وبين الخصوم هو ما ذكر. وعلى هذا المبدأ جردت السيوف وتتابعت سلسلات القتال في الجزيرة العربية وسأعرض لكم في جلسة أخرى صوراً من تلك المقاومة التي جرت بين هذه الدولة وبين خصومها. فلنختم جلستنا هذه ونلتقي في جلسة أخرى إن شاء الله تعالى. والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على محمد.

مقطع

الوالد: كنت وعدتكم بلقاء أتحدث عن المعارك التي دارت بين الدولة السعودية الناشئة وبين خصومها فقد حدث تغيرات سببت لفت الأنظار وتكالب العدو الخارجي على الدعوة. وكان من بين تلك الظواهر أو الخطوات الإصلاحية هي ما يلي:

أولاً: إبطال الأسلوب العشائري الذي كان يحكم به الناس.

ثانياً: أبطل الإخاوة وأصبحت موارد الدولة هي الموارد الشرعية من الزكاة والغنائم.

ثالثاً: أقيم قضاة لفصل الخصومات بين الناس بالحق.

رابعاً: نشطت حركة التعليم وتولى الشيخ بنفسه مهمة التدريس والإشراف على المدرسين في الدرعية.

خامساً: حمل الناس على التقيد بأوامر الدين والانتهاء عن نواهيه.

سادساً: حل الجهاد لإعلاء كلمة الدين محل الغارات العشائرية القديمة. والتي يقصد منها مجرد السلب والنهب والعداء.

وبهذا التغير السريع نشطت حركة الهجرة إلى الدرعية أفراداً وجماعات فراراً بدينهم وأنفسهم من الأذى والفتنة وطمعاً في الجهاد في سبيل الله. كما دخلت بلدان بطوعها واختيارها وتمت بيعتهم للإمام. بايعت

القويعية سنة ألف ومائة وتسعة وستون هجرية كما بايعت الحوطة والجنوبية سنة ألف ومائة وواحد وسبعون هجرية. والمحمل وثادق والقصب سنة ألف ومائة وثلاث وسبعون هجرية. وبهذا اشتدت السلطة وقوي أنصار الدعوة كما أن أساليب الحكم والسياسة في عهد الإمام محمد بن سعود وأولاده أخذ طابعاً إسلامياً يأخذ بزمام القوة والحكمة في الإدارة والحكم. فقد حصن الحصون وبنى على كل قرية أو مدينة حصناً أحاطه بالخنادق ورتب في الحصن رجالاً مسلحين كما أقام في كل مدينة مفتياً ومعلماً وأوجد رجال الحسبة الذين يحملون الناس على فعل الطاعات وترك المنكرات. ومن أعماله إيجاد أمير على كل بلدة بجانب القاضي والمفتي والعمال جباة الزكاة: وكانت سياسته مع البادية إقراره الأمراء القدماء وبيعتهم على أمرتهم مع التزامهم بأوامر الشرع إذا كان البدو قبل خروج هذه الدعوة يتحاشون عن متابعة الشرع. ومن سياسة هذا الإمام في الحكم أنه لا يغدر ولا يقتل وإن ألجأ الأمر إلى القتل قتل جهاراً كما أن من خلقه عدم التجبر والاحتجاب من الناس بل يمثل في سيرته هدي السلف الصالح. ومن أساليب حكمه أن يجلى من يتظاهر بالذنب عن وطنه إلى غير ملكه أو إلى بلد نائية عن بلده.

ومن سياسته المالية أنه إذا وقع على الدولة دين أعلن للجمهور حاجة بيت المال فيتسارع الناس في دعم بيت المال عن طيبة نفس لا عن قهر وقوة. وكان يضبط بيت المال ولا يسلط عليه أحداً بل يضع قواعد تؤخذ منه بقدر

الخراج المعتاد. وكل هذه الأساليب في الحكم والإدارة وقوة النظام والتعليم جعل للدرعية مركزاً في نجد فبدأت التخوفات تخالج أعداء الدولة وحساد الدولة الناشئة مما يمكن حصرهم في ثلاث جبهات رئيسية.

أولاً: الرياض والمتزعم لها دهام بن دواس.

ثانياً: صاحب نجران حسن بن هبة الله.

ثالثاً: الأحساء وأميرها سليمان بن محمد ثم خلفه عريعر أبو دجين.

هذه الثلاث الجبهات هي التي قامت بالمناوشات الحربية ومحاولة إطفاء نور الله وليس الخلاف في أرض ولا سيادة ولكن الخلاف في المعتقد والتوحيد فلذا أعلن الإمام محمد بن سعود بمشورة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن جهاد هؤلاء هو جهاد في سبيل الله حيث بلغتهم الدعوة واتضح لهم طريق الحق ولكنهم أصروا على ما هم عليه من البدع والخرافة والسحر والشعوذة ومذاهب الباطنية الإسماعيلية زيادة على هذا فإنهم هم الذين بدؤوا بالمناوشة الحربية وكان على الإمام أن يدافع عن الدين والنفس والمال. هذه ديباجة وتمهيد أطلت وأسهبت فيها لأهمية الموضوع وضرورة الإحاطة والتصور الشامل لأسباب هذه الحرب ودواعيه وفي جلسة أخرى نلتقي بكم في إعطاء الصورة الكاملة لتلك المعارك والله ولي التوفيق.

مقطع

الوالد كنت وعدتكم في جلسة سابقة أن أتكلم لكم عن الغزوات التي غزاها الأمير محمد بن سعود هجوماً كان ذلك أو دفاعاً غير أن هناك أسباباً منعتني من استيعاب الموضوع فرأيت أن أحضر بعض المراجع الهامة وعلى كل واحد منكم أن يختار موضوعاً من هذه المراجع لنقرأه سوياً أعطيكم الرأي فيما تقرؤونه إضافة إلى ما في ذهني من معلومات.

محمد: لقد وقع نظري على عنوان كتاب شيق ألا وهو عنوان المجد في تاريخ نجد للعلامة الشيخ عثمان بن بشر النجدي وقد اخترت لكم من صفحة ثلاث وعشرين الجزء الأول وفيه يقول سنة ستين ومائة وألف وفيه سار دهام بعد وقعة العبيد بجموع جمعها حضر وبدو وقصد الدرعية وكمن كميناً فأغار على البلد فخرج أهل الدرعية فلما رآهم انهزم وولى هارباً فطمعوا فيه وتبعوه فظهر عليهم الكمين فانكشف أهل الدرعية وقتل فيصل وسعود أبناء محمد بن سعود. فاشتدت الحرب بعدها. وفيها أي في سنة ستين ومائة وألف وقعه ((دلقه)) وتسمى أيضاً وقعة الشراك وهو موضع في الرياض وذلك أن محمد بن سعود سار بأهل الدرعية وأهل منفوحة وأهل حريملاء ولم يحضرها عثمان بن معمر فقصدوا الرياض وانفلت رجل يقال له أبو شيبة من أهل حريملاء. وأنذر دهام فاستعد لهم

فصبحهم محمد فإذا هم مستعدون فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل من أهل الرياض جماعة منهم محمد بن سوداء وسرحان البكاي وابن مسيفر وأربعة غيرهم وقتل من المسلمين عدة رجال منهم أبو منيس حمد بن محمد بن سليمان بن حسن وسليمان بن محمد الزهير. وحسن التميري. وغيرهم. وفي الفريقين جراحات كثيرة. هذا مقطع من حوادث سنة ألف ومائة وستين.

الوالد كانت البيعة والاتفاق بين الإمامين سنة ألف ومائة وسبعة وخمسين. وفي غضون ثلاث سنوات تكالب الأعداء على هذه الدعوة وزعيميها فكانت أول مناوشات تقع بين الدرعية والرياض فقد قام دهام بن دواس بالهجوم والاعتداء وكان موقف الدرعية موقف الدفاع إلا أن الخدعة التي قام بها دهام بجعل الكمين مما سبب استشهاد الأميرين فيصل وسعود أبناء الإمام محمد بن سعود إلا أن الوقعة التي تليها هي وقعة ((دلقه)) وتسمى أيضاً وقعة الشراك حمل الإمام بمن معه من أهل الدرعية وأهل منفوحة وأهل حريملاء، على الرياض وحمى الوطيس واقتتلوا قتالاً شديداً. كانت الخسارة على الطرفين وكانت الحرب سجالاً بين الرياض والدرعية قرابة ثمان وعشرين عاماً. غير أن دهام يعاهد حيناً ويغدر حيناً آخر. فقد طلب دهام عام ألف ومائة وسبعة وستين المهادنة وبذل للإمام خيلاً وسلاحاً وطلب من الإمام أن يرسل إليهم معلماً يحقق لهم معرفة

التوحيد. كما طلب الإمام من دهام بن دواس أن يقيم شرائع الإسلام في بلده ولكن لم تمض سنة واحدة على هذا العهد حتى اتفق دهام مع صاحب منفوحة على نقض عهد المسلمين وحربهم. ثم اجتمعا مع رئيس ثرمداء وانضم إليهم جماعة من أهل سدير وثادق وهجموا على حريملاء إذ كان أميرها من قبل الدرعية. فقد قاتل أمير حريملاء قتالاً شديداً فانهزم الأحزاب وقتل منهم ستون رجلاً. ثم عاد الكرة دهام يطلب الصلح عام ١١٧٧هـ ويعرض الطاعة. ودفع إليه ألفي احمر نكالاً. وقبل منه الإمام واشترك دهام مع الأمير عبدالعزيز في غزو الظفير. ويقال أن محمد بن سعود والشيخ محمد اشترطا على دهام أن يعيد إلى أنصار الشيخ الذين اضطروا للهجرة إلى الدرعية أملاكهم التي صادرها. وأن يساعد الدرعية في حربها فقبل دهام ذلك الشرط وفعلاً سار مع عبدالعزيز في غزوة جراب ضد عشائر الظفير. ومما تقدم يتضح أن المبرر الأول لغزوات الإمام هو الدفاع عن الدين والنفس والبلد ثم حمل الناس على الالتزام بشرع الله وتنفيذ أحكامه ومصادمة الباطل لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى. كما يظهر أن الإمام ليس لديه الرغبة في سفك الدماء وقطع السبل فبعد أن تظاهر دهام بقبول الشريعة وطلب معرفة التوحيد قبل منه الإمام ولم يضايقوه في أمرته ومركزه وهذا ما عليه يقوم الجهاد الإسلامي لقوله ﷺ لأن تأتوني بهم مسلمين أحب إلي من أن تأتوني بأموالهم وذراريهم.

حامد: لي سؤال أرجو التوضيح في الإجابة وهو هل كان أهل الرياض كفار يستحقون على كفرهم الجهاد واستحلال دماءهم وأموالهم كما استحل رسول الله ﷺ دماء الكفار وأموالهم.

الوالد: أحسنت على سؤالك وهذا ما يجب أن نقف عنده طويلاً فنقول أن الفرق بين ما عليه أهل الأرض آنذاك والجاهلية الأولى هو أن الجاهلية الأولى اتجهوا إلى عبادة الأوثان وجهلوا جميع الشرائع السماوية إلا بقايا من دين إبراهيم. أما أهل الرياض ومن شابههم فإنهم مسلمون ظاهرياً يقيمون شعائر الإسلام ويؤدون الزكاة يصومون ويحجون فلهم حكم الإسلام في الظاهر إلا أن المبرر لجهادهم وغزوهم فيما يظهر لي.

أولاً: قيام الدولة الشرعية التي التزمت بأحكام الشرعية وتنفيذه مما يجب أن تكون البيعة للإمام الأعظم محاربة من خرج على ذلك.

ثانياً: وجود خرافة وبدع توصل بأصحابها إلى الشرك بالله كدعاء القبور والاستنجاد بالأموات وهذا مبرر آخر لتطهير البلاد من رجس الشرك.

ثالثاً: وجوب صرف الزكاة لعمال الإمام الشرعي ولصرفها على الأصناف الثمانية التي حدد الله في قوله تعالى إنما الصدقات الآية.

رابعاً: رد العداء وحماية من كانوا تحت الولاية. هذه بعض المبررات لقيام الجهاد والغزو الذي قام به الإمام محمد بن سعود وهو الجهاد الشرعي

وبهذا يتبين الفرق بين ما عليه أهل الجاهلية وما عليه أهل نجد ودوافع الحرب التي كانت سبباً في توحيد الأمة تحت الإمامة العظمى الملتزمة بشرح الله والله ولي التوفيق.

محمد: لقد اطلعت على ما كتب العلامة الشيخ حمد الجاسر في كتابه مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ولما للموضوع من أهمية فإني أقرأ عليكم النص الكامل كما هو يقول الشيخ حمد الجاسر حفظه الله.

((الرياض)) في عهد دهام بن دواس

وقد جرى لهذه المدينة في عهد دهام بن دواس أحداث عظيمة منها:

(١) أنه أدار على تلك المحلات المتناثرة سوراً لا تزال آثاره باقية في بعض جهات المدينة، وبنى القصر الذي أصبح فيما بعد مقراً للإمارة والحكم حتى هدمه ابن رشيد في شهر صفر سنة ١٣٠٩. وكان بناء الحصون وتشييد القصر والسور حوالي سنة (١١٦٠هـ) عندما استعرت نار الحرب بينه وبين الدولة السعودية إبان قيامها بنصرة الدعوة الإصلاحية الدينية التي كان دهام من أشد المعارضين لها.

(٢) توالت الحروب على هذه المدينة قرابة ٢٨ سنة من عام ١١٥٩ إلى عام ١١٨٧- وبلغ عدد الغزوات التي شنها الإمامان محمد بن سعود وابنه عبدالعزيز نحو خمس وثلاثين غزوة قتل فيها من الفريقين أربعة آلاف وها هو بيان تلك الغزوات:-

سنة

١١٥٩ ١- وقعة غير مسماة

٢- وقعة الشِّيَّاب

٣- وقعة (الوِشام)

٤- وقعة العَبِيد

١١٦٠ ٥- وقعة دَلْقة. وتسمى وقعة (الشِّراك) وهو موضع في الرياض.

٦- وقعة (البَنِيَّة) موضع معروف في الرياض. جاء المهاجمون مع وادي (الوُتْرِ) بين البَنِيَّة وبين (العَوْد)

٧- وقعة (مُقْرِن) و (صِياح)

٨- وقعة (الخُرَيْزَة) في صِياح

١١٦٢ ٩- وقعة (الحُبُونِيَّة) نخل معروف في الرياض.

١١٦٣ ١٠- وقعة (البُطَيْحاء) ومكان الوقعة (المَرْوَة)

١١٦٤ ١١- وقعة غير مسماة وبعدها هُدنة وصلح مع دهام في عام ١١٦٨- انتقض الصلح.

١١٧٠ ١٢- وقعة (الرشاء) قرب منفوحة

١٣- وقعة الباب القبلي في الرياض.

١٤- وقعة (البَنِيَّة)

١٥- وقعة غير مسماة

١٦- وقعة (أم العصافير) واختفى الكمين في (القبة)

١٧- وقعة (البنية) الثالثة. وبناء قصر (الغزوانة) لمضايقة الرياض
١١٧٣ ١٨- وقعة (آل ريّس)
١١٧٤ ١٩- وقعة غير مسماة
٢٠- وقعة ليلة العيد
١١٧٥ ٢١- وقعة (مُقرِن)
١١٧٦ ٢٢- وقعة غير مسماة
٢٣- وقعة غير مسماة
١١٧٧ هدنة وصلح
١١٧٩ نكث وارتداد من دهام
٢٤- وقعة (بروج جصَّان)
١١٨٠ ٢٥- وقعة العِدْوة
٢٦- وقعة (البنية)
١١٨١ ٢٧- وقعة (المُشَيْقِيق)
٢٨- وقعة (المجوز) مكان في الرياض
١١٨٢ ٢٩- وقعة غير مسماة
١١٨٥ ٣٠- وقعة غير مسماة
٣١- وقعة قتل ابن دواس في صفاة الظهرة بين (عرقة) و (الفوارة)

٣٢- وقعة غير مسماة

١١٨٦ ٣٣- وقعة غير مسماة

٣٤- وقعة غير مسماة

١١٨٧ ٣٥- وقعة (هدم المرقب) في الرياض.

وبعدها في شهر ربيع الثاني هرب دهام من الرياض. ودخلها الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود بن مقرن -رحمه الله- وولى الأمير عبدالله بن مقرن بن محمد بن مقرن- إمارتها.

مقطع

الوالد: وأيكم يقرأ علينا من اختياراته ما وقع للإمام محمد بن سعود مع صاحب نجران الحسن بن هبة الله المكرمي.

حامد: يرفع يده ويقول لقد اخترت لكم من كتاب الدكتور منير العجلاني تاريخ البلاد العربية السعودية وهو ينقل من عدة مصادر منها كتاب في بلاد عسير حيث يقول ففي عام ألف ومائة وسبعة وسبعين هجم جماعة من العجمان اليمانية على فريق من عشائر سبيع الذين دخلوا في عهد الأمير محمد بن سعود وطاعته وأوسعوهم قتلاً ونهباً فلما بلغ ذلك الأمير أسرع باللحاق بالعشيرة اليمانية الغازية فأدركهم في موضع يقال له (مَذلـه) بين القويعية النفود فقاتلهم قتالاً عنيفاً فقتل منهم خمسين رجلاً وأسر مائتين وأربعين رجلاً وأخذ كل ما كان معهم من المال والسلاح. انطلق الناجون من اليمانية إلى بلاد اليمن وحطوا رحلهم في نجران عند رئيسها المشهور الحسن بن هبة الله المكرمي. وعرضوا عليه حالهم وشكوا له مصابهم وما فعله بهم عبدالعزيز. وطلبوا منه أن يثأر لهم ويستخلص أسراهم الذين يعانون ألواناً من العذاب. واستجاب صاحب نجران لهؤلاء المستجيرين لأنهم يمانية. ولم تكن العصبية قد زالت من النفوس وجمع المقاتلة من عشيرة يام ومن غيرهم من اليمانيين وسار بهم قاصداً الدرعية ثم

قال الدكتور منير العجلاني وصلت جموع المكرمي إلى حائر سبيع بين الخرج والرياض في شهر ربيع الثاني عام ١١٧٨هـ فسار عبدالعزيز للقائهم بجيش كبير وكان رجال هذا الجيش فيما يقول بن غنام معجبين بأنفسهم إعجاباً لا حد له. وكانوا خلال مسيرهم يظهرون ضروباً من الخيلاء والتيه لا توصف ويظنون أن عدوهم سيفر أمامهم بمجرد دنوه منهم. فعاقبهم الله سبحانه على ذلك وامتحن بهذه الواقعة أهل الإسلام ليميز الخبيث من الطيب.

دارت بين جنود المكرمي وبين جنود عبدالعزيز معركة غير طويلة في أرض الحائر ولكنها كانت معركة رهيبة جداً انهزم فيها جيش عبدالعزيز هزيمة منكرة فقتل من رجاله نحو خمسمائة رجل ووقع منهم في الأسر أكثر من مائتين. ورجع عبدالعزيز بمن نجا معه إلى الدرعية.

يقول صاحب اللمع عدد مقاتلة المكرمي ألف ومائتين وعدد جنود عبدالعزيز أربعة آلاف. ويزعم أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب حذر عبدالعزيز عنهم لما جاء ليخبر أنه عزم على استئصال العجمان لأنهم قوم فساد وشقاق. فبين له الشيخ أن وراءهم قوم يام وقال له هؤلاء طائفة كبيرة تسكن نجران وهم بداة وحضر ونحن لا نحب حريمهم اليوم. ويقول بن غنام أن عبدالعزيز لما وصل الدرعية دخل مجلس الشيخ في حالة انكسار وبأس فبادره بقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ

وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾.

محمود: ذكرتم صاحب نجران الحسن بن هبة الله المكرمي فأرجو التوضيح من هو صاحب نجران.

حامد: يفتح صفحة من كتاب العجلاني وبالحرف العريض من هو صاحب نجران فيقرأ يقول فؤاد حمزة في كتابه في بلاد عسير أن الحسن بن هبة الله تولى رئاسة نجران عام ١١٧٤هـ وتوفي عام ١٢٤١هـ وأنه قحطاني أصل أجداده من طيبة قرب صنعاء وليس علوياً فكان أجداده قد انضموا إلى الدعوة الإسماعيلية. ويقول صاحب اللمع أن حسن بن هبة الله المكرمي مختلف في أمره قيل أنه شريف من السادة زيدي المذهب وقيل أنه ليس بعربي وإنما هو هندي ولد بأرض نجران من أربعة أو خمسة أصلاب وصارت شهرته بالمكارم وهو رجل ساحر يتعاطى علوم السيماء والحرف وهو عجب في الظاهر ظاهري في الباطن عندما انكشف عن حاله طبيعي منكر للصانع.

محمود: هل وقع صلح بعد هذا الخلاف العقائدي والحروب الدامية بين الإمام وصاحب نجران.

حامد: ذكر ابن بشر في تاريخه أن الشيخ ومحمداً بن سعود أرسلا إلى فيصل بن سهيل شيخ الظفير وأرسلاه إلى صاحب نجران فاسترضوه

وأطلقوا له الأسرى الذين عندهم من العجمان وأطلق هو أسرى المسلمين. ويقول الدكتور منير العجلاني والحقيقة أن صلحاً عقد بين الفريقين دفعت فيه إلى المكرمي أموال طائلة وأرسلت إليه هدايا جليلة وأخذت منه المواثيق. ويقول صاحب اللمع إنهم أهدوا إلى المكرمي مائة وعشرين فرس وأنه قال وهو يستلمها الآن طابت نفسي.

الوالد: لقد أحسنت يا حامد فيما اخترت من قراءة وما أجبت من إجابة حول الوقائع والأحداث التي جرت بين الدرعية ونجران والذي أريد منكم أن تفهموه جميعاً أن لأسباب الحرب والسلم لها ظروف يحكمها الواقع. وقد تصلنا أسباب ذلك الصراع وقد لا تصل كما قد تفسر تفسيراً يتفق وميول المؤرخ أو الكاتب ولكن علينا أن نمحص ما نقرؤه ونستعرض الحوادث وفق القواعد والأسس التي منها المنطلق وهو ما سبق الإشارة إليه في أسباب الوقائع بين الرياض والدرعية والله ولي التوفيق.

الوالد: لقد طال صمتك يا أحمد فليكن نصيبك قراءة صفحة من كتاب تاريخ روضة الأفكار والأفهام للشيخ حسين بن غنام عن حرب الأحساء للدرعية عام ١١٧٢هـ ولمعلومكم أن سليمان بن محمد زعيم بني ((خالد وأمير الأحساء هو الذي ضغط على ابن معمر في العيينة حتى أخرج الشيخ محمد بن عبدالوهاب منها وقد (خلف) عريعر أبو دجين سليمان بن محمد فكان وارثه في العدوان مما جعله يجهز الجيوش لمقاومة

الدرعية فلنقرأ يا أحمد الصفحة ٥٥ خمس وخمسون من الجزء الأول لنسمع ما دار بين الطرفين والله المستعان قال: الشيخ حسين بن غنام وفي سنة ١١٧٢هـ ثم دخلت السنة الثانية والسبعون بعد المائة والألف. وفيها أتى الخبر الشيخ ومحمداً الأمير أن عريعراً يريد الخروج على نجد والتسيير فأمروا جميع بلدان المسلمين بالبناء والاستعداد والتحصين، وقام عبدالعزيز حرسه الله تعالى بالجد والاجتهاد وشمر ساعده في البناء والاستعداد، فبنى على الدرعية سورين منضودين بالبروج خشية التسوّر والعروج، ثم خرج بعد ذلك عريعر من أهل الحسا وكافة بني خالد وأهل سدير والوشم والرياض والخرج وكل منكر للحق جاحد وعلى الباطل معين مساعد وللضلال مؤيد معاضد، فأناخ أهل سدير والوشم والمحمل ورئيسهم مبيريك بن عدوان على أهل حريملا وأقاموا يقاتلونهم ثلاثة أيام، فلم يكن لهم سبيل على أهل الإيمان بل قتل منهم رجال في أيام ذلك القتال ثم رحلوا عنها وثوّروا منها وطلبوا من عريعر المدد والأمداد ومساعدتهم بالجيوش والأجناد فأمدهم بآل عبيد الله من بني خالد وفرقان من عنزة كبيرهم ابن هذال فأناخ الجميع على تلك البلدة والكل منهم قد بذل جده وجهده وأرهف سنانه ونخا أصحابه وأعوانه فأحاطوا بالبلاد ودخلها منهم ثلاث جنادب للجلاد فانتدب إليهم أهل تلك المحلة وأخرجوهم مهزومين من النخيل والمحلة وأركبوهم ولله الحمد غارب الهوان والثلة، وكفى بذلك عاراً ومذلة، وقتلوا منهم رجالاً عشرة والجرحى أكثر من أن نعدهم

ونحصرهم، ثم خرج أهل البلاد بعد ذلك النصر والناموس وصدور ذلك الفعل المأنوس وساروا جملة مسرعين إلى مناخ تلك الأحزاب المجتمعين؛ فحين عاينوا ذلك الإقبال ووجوه الرجال ولوا على أعقابهم مدبرين وانهزموا راجعين وأخذوا من أهل البلاد كثيراً من الأمتعة والزاد ثم اجتمع ما ذكرناه آنفاً بمن هو للتوحيد محارباً مجانفاً وحصل التوافق مع عريعر ومن معه واتفق رأيه مع من ساعده واتبعه أنهم يلقون عصى التسيار بالجبيلة محلة الصحب الأخيار وينزلون في تلك الفيافي والقفار ويقاتلون أهلها إذا أسفر النهار، فعند ذلك ساروا جميعاً إليها ونزلوا بأجمعهم عليها وطنبوا تلك الخيام على ذلك المقام وأثبتوا العمد والأطناب على رفيع تلك الهضاب وراموا تغيير منهج الحق والصواب بما جاءوا به من الباطل والضلال والإعجاب (إن ربك لسريع العقاب) فأمدهم المسلمون برجال وبقوا أياماً في أشد الجلاد والقتال، ثم إن أهل الباطل والضلال عدوا على القلعة وحاولوا الدخول فلم يكن لهم إليه سبيل ولا وصول وجاءهم وهم في ذلك المكان من ورائهم أناس من أهل الإيمان فلم يلومنهم أحد على أحد بل كل منهم امتطى قدميه وشرد، وقتل منهم في أيام القتال ستون من الرجال وقتل من المسلمين نحو العشرة، ثم ولت تلك الأحزاب منهزمة منكسرة.

محمد: هل لقيام الدولة السعودية الأولى نظائر في عالمنا الإسلامي ولتوضيح سؤالي أرجو الإفادة عما إذا كان هناك دولة قامت في العالم الإسلامي المعاصر على العلم والجهاد وإقامة الدولة المسلمة نظير ما قام به الإمام محمد بن سعود.

الوالد: نعم يا محمد وأخوة محمد سأتجه بكم إلى غرب أفريقيا لنبحث عن جواب السؤال وحتى لا نكلفكم عناء السفر والبحث عن الخبر أطلعكم على خلاصة ما كتبه العالم النيجيري الحاج آدم عبدالله الألوري في كتابه تاريخ الدعوة الإسلامية بين الأمس واليوم. وهو كتاب جيد مفيد وكذا على كتاب الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وقيام دولة الفلاني في مطلع القرن الثاني عشر الهجري للدكتور حسن عيسى عبدالظاهر مع إضافة ما درسه والدكم وشهده من آثار قيام الدعوة في غرب أفريقيا والتي تشبه إلى حد كبير قيام الدولة السعودية الأولى في نجد فإن الزمان متقارب بل في نفس العصر فكأنهما قامتا على قدر تلك في المغرب الإسلامي وهذه في المشرق الإسلامي مع اختلاف بينهما مما سأذكره إن شاء الله تعالى. يقول الشيخ آدم عبدالله الألوري تحت عنوان الشخصيات المثالية عثمان بن فودي الفلاَّني قام بالأمر بالمعروف فوشى به بعض العلماء إلى ملك أوبر أحد ملوك هوساء. فأمر الملك بنفيه من بلاده فأعلن الشيخ وجوب الهجرة على جماعته فاندفع تيار الهجرة يتدفق فسقط من يد الملك ولم يجد بداً من منعهم

وقطع طريقهم فاضطر ابن فودي إلى تكوين جيش إسلامي من أنصاره وجماعته لمقاومة هذا العدوان. فأرسل الملك بالرسائل إلى الملوك المجاورين ليستنجدهم فأجابوه فوقف الجميع في صف واحد ووقف بن فودي وأتباعه في صف آخر فقامت بين الطرفين معارك دامية انتصر في جميعها ابن فودي وقضى على آثار الكفر والطغيان وأقام مكانها دولة الإسلام، اكتسحت جميع النواحي المعروفة اليوم بنيجيريا الشمالية.

أما الدكتور حسن عيسى عبدالظاهر فقد قام بدراسة ميدانية وأجرى بحوثاً قيمة إبَّان إقامته في نيجيريا طبعت هذه البحوث تحت عنوان الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وقيام دولة الفلاّني وهو بحث فيه إنصاف وعدم وعدل وتحليل وإبداء آراء قيمة تجاه الدعوة إلى الله في غرب أفريقيا. فبعد أن استعرض دولاً تعاقبت الحكم في غرب أفريقيا أتى إلى معالم دولة الفلاني الإسلامية وقيامها يقول الدكتور حسن ما هي الدولة؟ ثم يجيب هي شخصية معنوية تتمثل في ثلاثة أركان أمة. وأرض معينة، وسلطة علياء. ثم يقول في مراحل قيام دولة الفلاني ولقد مر جهاد الدعوة التي قام بها وقادها الداعية الشيخ عثمان بهذه المراحل بالترتيب:

أولاً: مرحلة الجماعة والأمة.

ثانياً: الأرض أو مرحلة توطين الدعوة.

ثالثاً: السلطة العليا أو السيادة فقد تمت مبايعة الشيخ بالإمارة في صفر سنة ١٢١٩ بعد هجرة الدعوة وأهلها بايعوا الشيخ على السمع

والطاعة في المنشط والمكره وبايع هو على اتباع الكتاب والسنة وضبط الأمور فكان هو الإمام والأمير. ثم لقب بأمير المؤمنين وبقي هذا اللقب في خلفه ويقول الدكتور حسن تمت البيعة على أساس الشورى والاختيار ولم يكن الذين بايعوا الشيخ على الانتصار للإسلام ليتشبهوا بأهل الكفر في ألقاب ملوكهم بل كانوا كما علمهم داعيتهم وشيخهم عثمان وقولوا أنتم لأميركم أمير المؤمنين وأمير كل بلدة أمير كذا. ولأمير كل موضع أمير موضع كذا ولأمير كل قرية أمير قرية كذا ولمن ولي حدود الله أمير الحدود.

ثم يخلص الدكتور حسن من الفصل الثاني لنلتقي معه في الفصل الثالث الداعية ومؤسس الدولة لنوجز ما بحثه في هذا الفصل على رؤوس أقلام الشيخ ونسبه ولقبه وكنيته ومكانته.

اسمه عثمان ولقبه الشيخ وكنيته أبو محمد ومكانته وصفته أمير المؤمنين واسم أبيه محمد ولقبه فودي ينتمي الشيخ عثمان إلى (النوردب) وهو من بيت مشهور بالصلاح والخير ومعروف بالعلم وحفظ القرآن الكريم.

ولد الشيخ يوم الأحد أواخر صفر عام ألف ومائة وثمانية وستون ونشأ في أسرة مسلمة صالحة. تربى على التربية القوية والخلق الحسن وقد أولع منذ صغره بالعبادة والعلم معاً. كما جد في التحصيل والأخذ عن العلماء فنون العلم وبالذات علم الحديث. وللسائل أن يسأل عن وضع

المجتمع الذي خرج فيه الشيخ عثمان الجواب ينقسم المجتمع الذي خرج فيه الشيخ عثمان إلى ثلاث فئات.

الفئة الأولى الذين أنعم الله عليهم وهم المؤمنون.

الفئة الثانية المغضوب عليهم وهم الكافرون.

الفئة الثالث المخادعون الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون المخلطون هكذا قسم الشيخ عثمان مجتمعه إلى هذه الفئات الثلاث وهو يلتزم في هذا التقسيم بالدليل ويكثر الاستشهاد من أقوال الأئمة والسلف من العلماء. ثم يفرق بين المسلمين وغيرهم فالمسلمون من أقروا بكلمة الشهادة وعلموا بأعمال الإسلام ولا يسمع منهم إنكار شيء من علم الدين بالضرورة. لأن من أنكر ذلك كفر قطعاً ولا يسمع منهم الاستهزاء بدين الله بألفاظ الكفر لأن من يستهزئ بدين الله كافر قطعاً ولو بغير اعتقاد ولا يرى منهم تخليط عمل الإسلام بأعمال الكفر وهو بهذا يقرر أن الإيمان تصديق وقول وعمل. وأن من توفرت له هذه الأمور فهو في عداد المسلمين. كما يكرر أن هذه الأمور وهي إنكار ما علم في الدين ضرورة والاستهزاء بدين الله وتخليط عمل الإسلام بأعمال الكفر فهو كفر وفاعلها أو فاعل واحد منها كافر قطعاً.

وأما المخلطون فمنهم من يزعم أنه مسلم يعمل أعمال الإسلام وهو مع ذلك يعظم الأشجار بالذبح عندها والصدقة أو صب العجين عليها أو تعظيمها باللجوء إليها في سؤال الحوائج عندها. ثم يقسم الشرك خمسة

أقسام شرك الاستقلال كشرك المجوس. وشرك التبعيض كشرك النصارى. وشرك التقريب كشرك أوائل الجاهلية وشرك التقليد كشرك أواخر الجاهلية وهذه الأربعة كفر، وشرك الأسباب وهو إسناد الفعل والتأثير على سبيل الحقيقة لأسباب عادية وهذا القسم لا خلاف لأنه من قسم البدعة وإنما الخلاف في كفره. ويسوق قسماً سادساً وهو قسم الرياء والشرك الأصغر وهو العمل لغير الله وليس بكفر بالإجماع.

هذا ما اخترت لكم مما كتبه الدكتور حسن عيسى عبدالظاهر في كتابه الدعوة الإسلامية وكذا ما كتبه الحاج آدم عبدالله النيجري الألوري في كتابه الدعوة بين الأمس واليوم وقد وعدتكم إعطاء رأيي في الدولتين الإسلاميتين الفلانية والسعودية ووجه التشابه والاختلاف بينهما فأقول لقد اجتمعتا الدولتان في زمن متقارب حيث كانت ولادة الشيخ عثمان سنة ألف ومائة وثمان وستين وكانت البيعة له سنة ألف ومائتين وتسعة عشر والإمام محمد بن سعود تمت البيعة له سنة سبعة وخمسين ومائة وألف هجرية.

كما اتفقتا على إيجاد الحكومة المسلمة ومحاربة الشرك وتصريف أمور الدولة وفق الشريعة الإسلامية. وهذا هو محور الالتقاء أما الفوارق التي حصلت بين الدولة السعودية المتمثلة في إمامها محمد بن سعود والدولة الفلانية المتمثلة في أمير المؤمنين عثمان بن فودي فهي كما يلي:

١- دعي محمد بن سعود بعد البيعة بإمام المسلمين بينما دعي عثمان بن فودي بأمير المؤمنين.

٢- حكم الإمام محمد بن سعود وجعل الشورى للعلماء ونصب القضاة ورجال الحسبة بينما عثمان فودي تولى هو بنفسه وتلامذته الأمرة والقضاء والفتيا.

٣- محمد بن سعود يتجه إلى السلفية ويختلف مع أرباب التصوف ويشدد في إنكار البدع والشيخ عثمان فودي صاحب طريقة ويؤيد التصوف وله شحطات في الغلو في الشيخ عبدالقادر الجيلاني.

٤- دعا عثمان فودي بعاصمته دار الخلافة وهي مدينة سكتو ولم يفعل ذلك محمد بن سعود بتسمية عاصمته دار الخلافة.

٥- اشتغل عثمان فودي بالتعليم والتأليف فقد بلغ تعداد مؤلفاته خمسون كتاباً في مختلف الفنون بينما الإمام محمد بن سعود اتجه لإدارة الحكم بنفسه وتنفيذ ما يحكم به القضاة بمشورة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حيث وكل إليه مهمة التعليم أو التوجيه. وهذا مما يؤسف له أن ضريح الشيخ عثمان أمير المؤمنين قد شيد عليه بناية وسور بأسوار يدخله الزائر بخلع نعليه. كما قد تم كسوة هذه البنية على القبر. بالقماش الأسود مشابهة بالكعبة المشرفة. وهذا مما يعطي صورة عن الاتباع ومن خلف الشيخ في عدم الحماس لمحاربة الشرك ووسائله.

هذا كما قد تحول أبناء الشيخ عثمان وتلامذته من الطريقة القادرية إلى الطريقة التيجانية وقد أخطأ من قال بأن دعوة الشيخ عثمان فودي في غرب أفريقيا امتداد لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الجزيرة العربية. ولهذا سقت هذه الفوارق ليعلم.

أما قيام الدولتين الفلانية والسعودية فهما نمط جديد في عالم السياسة في الوطن الإسلامي الكبير حيث لا زالتا تؤتي أكلهما والحمد لله.

الوالد: نستخلص من جميع ما تقدم أن الإسلام يتمثل في جوانب ثلاثة رئيسية الجانب الأول جانب التصور والاعتقاد الجانب الثاني جانب التشريع والأحكام الجانب الثالث قيام الدولة المسلمة لرعاية الأحكام التشريعية وحمل الناس على الالتزام بمنهج الله في الأرض وعلى هذه الجوانب الثلاثة أو الأسس قامت الدولة السعودية الأولى فانقضَّ عليها أعداء ووصموها بنعوت التشنيع وألقاب السخرية واشتهر على الألسن بتسميتها بالدولة الوهابية ومع الأسف فقد تناقل هذا اللقب بعض أصدقاء هذه الدعوة وتكرر ذكرها في كتب التاريخ وبخاصة كتب الأجانب غير المسلمين ومن هو على شاكلتهم أما علماء الدعوة وأئمتها فلم يتسموا بغير ما سماهم الله به [هو سماكم المسلمين من قبل] ومع هذا فإنهم لا يجدون غضاضة أو تنقصاً في تسميتهم بالوهابية نسبة إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

أما تسميتهم بالمذهب الخامس فهذا لا يصدر إلا من جهلة طغام وقديماً قيل لأهل الحديث وأهل السنة الحشوية والمجسمة وذالكم من الألقاب التي يوصم بها أهل السنة والجماعة هذا وسنلتقي معكم في رسالة أخرى مع علم من أعلام الدعوة الإسلامية لمواصلة سلسلة الحديث عن الدعوة والدعاء لتوضيح معالم الحق وذباً عن حياضه وتبرئة أربابه ومؤازرة من سعى في إحقاق الحق وإبطال الباطل فكما أن السنان له وقع في ذلك فإن القلم واللسان يحذوان حذوه بل يحقق أكثر منه في حالة السلم والحرب هذا والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أجرى الحوار ونقل النصوص وعزاها لأصلها وكتب التقديم وأشرف على الطبع والإخراج الفقير لربه والمعترف بذنبه إسماعيل بن سعد بن عتيق.

انتهى ما كتب في اليوم السابع من شهر الله الحرام عام ١٤٠٧هـ.

أعلامنا في سجل التاريخ

(٣)

الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب

١١٦٥-١٢٤٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القادر والصلاة والسلام على النبي الطاهر محمد وآله وصحبه وسلم.. وبعد:

فهذا هو الرقم الثالث من سلسلة أعلامنا في سجل التاريخ.

وقد مضى القول في الرقم الأول عن الإمام المصلح محمد بن عبدالوهاب.

ثم تلاه الكتاب الثاني عن مؤسس الدولة السعودية الأولى الإمام محمد بن سعود.. ولترابط المشيخه بالإمامة فقد اخترت لهذا الرقم الثالث للتحدث عن الشيخ عبدالله بن الإمام محمد بن عبدالوهاب على غرار ما سبق في سياق القصة والحوار مع الالتزام بالمنهج العلمي لتحديد الهدف والغاية للتعريف بالأئمة الأعلام وتبديد سحابة الظلام وكثافة الأوهام عند من ناوءوا الدعوة السلفية المتمثلة في علمائها وأئمتها في الجزيرة العربية منذ القرن الثاني عشر الهجري.

وقد يتنوع موضوع الكتاب بتنوع ما حققه العالم أو الإمام وهذا التنوع لا يبعدنا عن الغاية المنشودة بل هو من مستلزمات الأمانة في النقل والتاريخ وأركان المتحاورين هم الوالد وأبناؤه الأربعة محمد وأحمد وحامد ومحمود. وقد اخترت لكم هذه الأسماء لذكر اشتقاق الحمد في الأسماء الأربعة كما قال الشاعر:

فشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

نسأل الله أن يهب لنا علماً نافعاً وعملاً صالحاً والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه،،،

إسماعيل بن سعد بن عتيق

١٤٠٧/١١/٧هـ

الوالد:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له..

وبعد: فقد مضى القول في جلسات سابقة عن الإمام محمد بن سعود وتم استعراض جوانب هامة في حياته من عام ١٢٥٨هـ حتى عام ١٢٧٩هـ.

أما هذه الجلسة وما يتبعها من جلسات فقد اخترت لكم ((علماً من الأعلام)) خليفة شيخ الإسلام عبدالله بن الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، أرجو من الأبناء الكرام في حوارهم الجدلي واستجواباتهم العلمية أن تكون من واقع حياة الشيخ وآثاره العلمية ومنهجه في الدعوة والإصلاح والتركيز على أهم الجوانب في تاريخه رحمه الله وكما يقال لكل مقام مقال فنحن بصدد التعرف على شخصية دينية علمية قيادية أترك لكم المقال لتسألوا وتجابوا:

محمد: لعل من الأفضل أن نستعرض أسماء المراجع التي يمكن الرجوع إليها في حياة الشيخ عبدالله بن الإمام محمد بن عبدالوهاب للرجوع إليها عند اللزوم لمعرفة حياته بالتفصيل وما قاله عنه المؤرخون رحمه الله.

الوالد: أحسنت يا محمد إن والدكم لا يدّعي بأنه ألم بكل شيء في حياة هذا الشيخ أما المراجع التي يمكن أن يُعتمدَ عليها مما هو في حوزتي وضمن مكتبتي فهي كالآتي:

أولاً: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية وهذا الكتاب أربعة أجزاء مجلدة طبعت عام ١٣٤٧هـ وبأمر الملك عبدالعزيز رحمه الله جمعها ورتبها العالم الأديب الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله. وهذه المجموعة تضم شتات كثير من المسائل والرسائل لعلماء نجد الأعلام وفي مقدمتهم إمام الدعوة وابنه الشيخ عبدالله رحمهم الله.

ثانياً: الدور السنية في الأجوبة النجدية أحد عشر مجلداً جمعها ورتبها العلامة الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله وهي تضم ما جمعه الشيخ ابن سحمان وزيادة. كما قام بترتيبها على أبواب الفقه وخص المجلد الثالث عشر بذكر تراجم من ذكروا في هذا المجموع الكبير (الموسوعة العلمية) رحم الله الشيخ عبدالرحمن بن قاسم فقد بذل مجهوداً يشكر عليه ويدعى له حفظاً للتراث المجيد.

ثالثاً: أما الكتاب الثالث الخاص بالتراجم فقد قام الشيخ الأديب عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ بترجمة مستوفاةٍ في كتابه المشهور (مشاهير علماء نجد وغيرهم).

رابعاً: وترجم الزركلي في كتابه الأعلام ترجمة مختصرة للشيخ عبدالله رحمه الله.

خامساً: أما الذي أفاد فهو صاحب كتاب علماء نجد خلال ستة قرون، الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام.

سادساً: أما تاريخ بن غنام الموسوم بروضة الأفكار والأفهام وكذلك عنوان المجد في تاريخ نجد. للشيخ العلامة ابن بشر فهما مرجعان هامان لأغلب الحوادث والوقائع في تاريخ نجد عموماً ولكنهما لم يخصصا ترجمةً أو تبايناً تاريخياً منفرداً عن الشيخ رحمه الله.

هذه هي المصادر الموثوقة التي يمكن الرجوع إليها في حوادث وأخبار نجد وفي مقدمة هذه الأخبار والحوادث سير الأعلام من العلماء والحكام في الجزيرة العربية.

الأبناء: جميعاً: لقد أحلْتنا إلى مليءٍ فهل تترك لنا فرصةَ المراجعةِ والبحث في هذه الكتب المذكورة حتى نكون في مجلسنا القادم قد أحطنا ببعض عناصر البحث والمناقشة على ضوء ما سبق ذكره من أن الشيخ

عبدالله شخصية علمية قيادية وأنه خليفة والده المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في الدعوة والإصلاح والقيادة والقضاء والتعليم والاستشارة.

الوالد: نعم- نعم فإلى جلسة قادمة إن شاء الله.

محمد: لقد أمعنتُ في البحث والتحقيق ورجعتَ إلى الموارد والمصادر فيما كتبه وألفه وأجاب عنه العالم الفاضل والفذ المناضل الشيخ عبدالله بن الإمام محمد بن عبدالوهاب فرأيت الرجل قد شرب من مشرب أهل السنة والجماعة وارتوى من ينبوع ما ارتوى منه الأئمة الأعلام كالشافعي ومالك والثوري والأوزاعي وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية والمشايخ المقتدى بهم كالفضيل بن عياض وأبي سليمان الدارائي وسهل بن عبدالله التستري وغيرهم في أصول الدين وفروعه.

محمود: ماذا اخترت لنا يا أخ محمد مما قرأته وحققته لنستفيد مما علمك الله.

محمد: نعم يا إخوة كان أولُ مجموعة قرأتها من مؤلفاته هي ما سجلها له التاريخ ضمن الرسائل والمسائل النجدية ففي الجزء الأول من المجموعة تحتل رسائل الشيخ عبدالله الصدارة من ص٤٨ حتى نهاية ص ٣٢٠ هي مما كتبه هذا العالم في بيان أصول الدين وفروعه

ولاشك أن البداءة بالأهم قبل المهم قاعدة معروفة فلذا أُلخص لكم ما في الرسالة الأولى من البحوث العلمية على سبيل الإيجاز.

قال الشيخ رحمه الله في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية: ما ملخصه

المبحث الأول عن آيات الصفات وأحاديثها التي اختلف فيها علماء الإسلام الذي نعتقده وندين الله به مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من الأئمة الأربعة وأصحابهم رضي الله عنهم أجمعين وهو الإيمان بذلك والإقرار به وإمراره كما جاء من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل قال الله تعالى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ وقد عهد الله تعالى لأصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان بالإيمان فعلم قطعاً أنهم المراد بالآية الكريمة فقال تعالى ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ (الآية) وقال تعالى ﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (الآية) فأثبت بالكتاب الكريم أن من اتبع سبيلهم فهو على الحق ومن خالفهم فهو على باطل. ثم قال رحمه الله وجماع الأمر أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة- قسمان يقولون تجري على ظاهرها، وقسمان يقولون

هي على خلاف ظواهرها، وقسمان يسكتون أما الأولون فقسمان أحدهما من يجريها على ظاهرها من جنس صفات المخلوقين فهؤلاء المشبهة وإليهم توجه الرد بالحق، والثاني من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى كما يجري اسم الله العليم والقدير والرب الموجود والذات على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوقين إما جوهر محدث وإما عرض قائم كالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك في حق العبد أعراض والوجه واليد والعين في حقه أجسام فإذا كان الله موصوفاً عند عامة أهل الإثبات بأن له علماً وقدرة وكلاماً ومشيئة وأن لم تكن أعراضاً يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين جاز أن يكون وجه الله ويداه ليست أجساماً يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباقين لا يخالفه وهو أمر واضح لمن هداه الله فإن الصفات كالذات فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين فمن قال لا أعقل علماً ويداً إلا من جنس العلم واليد المعهودة قيل له فكيف تعقل ذاتاً من غير جنس ذوات المخلوقين أما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها أعني الذين يقولون ليس لها في الباطن مدلولٌ هو صفة الله

تعالى وأن الله لا صفة له ثبوتية بل صفاته إما سلبية أو إضافية وإما مركبة منهما ويثبتون بعض الصفات وهي السبع والثمان والخمس عشرة على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين من الأشعرية وغيرهم فهؤلاء قسمان قسم يتأولونها ويعينون المراد مثل قولهم استوى بمعنى استولى أو بمعنى علو المكان والقدر أو بمعنى ظهور نوره للعرش أو بمعنى انتهاء الخلق إليه إلى غير ذلك من معاني المتكلمين وقسم يقولون الله أعلم بما أراد بها لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجة عن ما علمناه.

وأما القسمان الواقفان فقسم يقولون يجوز أن يكون المراد بظاهرها اللائق بالله ويجوز أن لا يكون المراد صفة لله ونحو ذلك وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم، وقسم يمسكون عن هذا كله لا يزيدون على تلاوة القرآن وتلاوة الحديث معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات كلها فهذه الأقسام الستة لا يمكن أن يخرج عن قسم منها.

والصواب في ذلك القطع بالطريقة السلفية وهي اعتقاد الشافعي ومالك والثوري والأوزاعي وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وهي اعتقاد المشايخ المقتدى بهم من الفضيل بن عياض وأبي سليمان الدارائي فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع في أصول الدين وكذا أبو حنيفة رحمه الله واعتقاد هؤلاء ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان وهو ما نطق به الكتاب والسنة في التوحيد والقدر وغير ذلك.

المبحث الثاني:

في الاستغاثة بالمخلوق عند الشدائد بالنداء والدعاء كمن يستغيث ويتوسل ويتوجه بنبيه أو بالصالحين فقال رحمه الله: أما سؤال الميت والغائب نبياً كان أو غيره تفريج الكربات وإغاثة اللهفان والاستغاثة به في الأمور المهمات فهو من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام فإن لم يكن أحد منهم إذا نزلت به أو عرضت له حاجة أو نزلت به كربة وشدة يقول لميت يا سيدي فلان حسبك أو اقضي حاجتي أو أنا مستشفع بك إلى ربي كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ولا بغيره من الأنبياء لا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها وما كانوا يقصدون قبورهم للدعاء والصلاة عندها.

المبحث الثالث:

في من مات على التوحيد وإقامة قواعد الإسلام الخمس وأصول الإيمان الستة ولكن كان يدعو وينادي ويتوسل في الدعاء إذا دعى ربه ويتوجه بنبيه في دعائه فقال رحمه الله؛ أما سؤال الميت والاستغاثة به في قضاء الحاجات وتفريج الكربات من الشرك الأكبر الذي حرمه الله تعالى

ورسوله واتفقت الكتب الإلهية والدعوات النبوية على تحريمه وتكفير فاعله والبراءة منه ومعاداته ولكن في أزمنة الفترات وغلبة الجهل لا يكفر الشخص المعين بذلك حتى تقوم عليه الحجة بالرسالة ويبين له ويعرف أن هذا هو الشرك الأكبر الذي حرمه الله ورسوله فإذا بلغت الحجة وتليت عليهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ثم أصر على تركه فهو كافر بخلاف من فعل ذلك جهالة منه ولم ينبه على ذلك، فالجاهل فعله كفر ولكن لا يحكم بكفره إلا بعد بلوغ الحجة إليه فإذا قامت عليه الحجة ثم أصر على شركه فقد كفر ولو كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلي ويزكي ويؤمن بالأصول الست.

المبحث الرابع:

في تقسيم مواريث من مات على ذلك وما حصل منهم من الإتلافات وما وقع بينهم من القتل وغيره فقال رحمه الله: تقسيم المواريث التي قسمت في حال الشرك والجهل تقر على ما هو عليه ولا ترد القسمة في الإسلام ومن أسلم على شيء في يده قد ملكه في الجاهلية لم ينزع من يده في الإسلام لأن الإسلام يجب ما قبله وكذلك ما حصل بينهم من القتل والإتلافات فالذي نفتي به أنه لا يطالب بشيء من ذلك وذلك لأن حال الناس قبل هذا الدين أكثرهم حاله كحال الجاهلية الأولى وكل قوم لهم عادة وطريقة استمروا عليها تخالف أحكام الشرع في المواريث والدماء والديات وغير

ذلك ويفعلون ذلك مستحلين له فإذا أسلموا لم يطالبوا بشيء مما فعلوه في جاهليتهم وتملكوه من المظالم ونحوها أما الديون والأمانات فالإسلام لا يسقطها بل يجب أداؤها إلى أربابها والله أعلم.

المبحث الخامس:

فيما انفرد الله به سبحانه وتعالى بتقسيمه في كتابه العزيز من المواريث والصدقات المفروضة فقال رحمه الله: أن المواريث التي قسمت في الشرك أو تملكها أهلها ثم أسلموا لا ترد قسمتها ومن أسلم على شيء أقر في يده إذا كان قد تملكه في جاهليته وأما إذا لم تقسم التركة وأسلم أهلها وهي موقوفة فإنها لا تقسم إلا على قسمة الله تعالى في كتابه العزيز التي يعرفها أهل العلم وأما قسمة الصدقات المفروضة فقد قسمها سبحانه وتعالى في ثمانية أصناف لا يجوز صرفها إلى غيرهم وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء. لكن اختلفوا هل المراد أنها تقسم بين الأصناف الثمانية بالسوية كما يقسم الميراث بين أهله وأنه لابد من تعميم الأصناف الثمانية أو المراد بذلك بيان المصرف وأنها تصرف إلى غير هؤلاء وأنه يجوز صرفها إلى بعض الأصناف دون بعض بحسب الحاجة والمصلحة. مذهب الشافعي إلى أنه يجب استيعاب الأصناف الثمانية وذهب الجمهور إلى جواز عدم التعميم.

المبحث السادس:

في مسألة فقهية وهي الأرض التي تكون مرهونة ويستغلها المرتهن أو يأخذ شطراً من غلاتها وينتفع بها. قال رحمه الله: المفتى بـه عنـدنا أن الـرهن وثيقة في الدين يباع عند حلول الـدين إذا امتنـع الـراهن مـن الوفـاء فمتـى امتنع الراهن من الوفاء وطلب المرتهن بيع الرهن واستوفى من ثمنه ولم يجـز مطله ولا إجباره على المناجمه ومن أجبره على المناجمه فهو جاهل ومن نـسب ذلك إلينا فقد غلط بل لا يجوز ذلك عندنا إلا برضا المرتهن.

المبحث السابع:

إذا قبَّل الرجل كف غيره لا للتعبد ولا لغنـاه ولا لـشوكته بـل لنحـو صلاحه وعلمه وزهده وشرفه وخصاله المحمودة قال الشيخ رحمه الله أنه لم يكن من عادة السلف تقبيل أيدي العلماء والصالحين بل لم يكن من عـادتهم تقبيل يد رسول الله صلى الله عليه وسـلم وهـو أفـضل الخلـق صـلوات الله وسلامه عليه فمن جعل ذلك عادة فقد خالف ما عليه السلف أما من فعـل بعض الأحيان ولم يجعله عادة مستمرة فهذا لا بأس به بل قد يستحب.

المبحث الثامن:

في التنباك الذي اختلفت فيه آراء علماء الإسـلام في الحـل والتحـريم فقال رحمه الله أن من نسب إلينا أن شاربه مرتد بعد ما تاب عنـه وحـل دمـه وماله فقد كذب وافترى بل من قال هذا القول استحق التعزير البليغ الـذي يردعه وأمثاله فإن هذا مخالف للكتاب بل لو تاب ثم عاد إلى شربـه لم يحكـم

بكفره وردته ولو أصر على ذلك إذا لم يستحله والتكفير بالذنوب مذهب الخوارج الذين مرقوا من الإسلام واستحلوا دماء المسلمين بالذنوب والمعاصي.

المبحث التاسع:

عن حلق شعر الرأس وقد أشيع بأن بعض البوادي الذين دخلوا في الإسلام قاتلوا من لم يحلق رأسه فقال رحمه الله رداً على هذه الإشاعة أن هذا كذب وافتراء ولا يفعل هذا من يؤمن بالله واليوم الآخر فإن الكفر والردة لا تكون إلا بإنكار ما علم بالضرورة من دين الإسلام.

المبحث العاشر:

في قوم اجتمعوا وعقدوا بينهم العهود في المؤازرة والمناصرة والمعاونة على الأضياف وأنهم يعقلون في الدماء عمدها وخطأها فهل يجب الوفاء بها إذا كان في ذلك صلاح؟ فأجاب رحمه الله أن الحلف إذا وقع على خلاف أحكام الشرع لم يجز التزامه ولا الوفاء به فإن قضاء الله أحق وشرط الله أوفق كما ثبت في الصحيحين في حديث بريدة رضي الله عنه (ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وأن كان مائة شرط) وهذا الحلف المذكور على هذا الوجه يخالف حكم الله فإن الحكم الشرعي أن دية العمد على القاتل خاصة ودية الخطأ على العاقلة وهذا أمر لا خلاف فيه بين العلماء فكيف يبطل هذا الحكم

الشرعي بحلف الجاهلية وعقودهم وعهودهم وأما قوله صلى الله عليه وسلم (كل حلف في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة) فهذا فيما وافق الشرع ولم يخالفه كالتحالف على البر والتقوى والتحالف على دفع الظلم ونحوه.

حامد: لقد استوعبنا في مجموع هذه البحوث مسلك الشيخ/ عبدالله بن الإمام محمد بن عبدالوهاب السلفي في أسماء الله تعالى وصفاته وبعض آراءه الفقهية المبنية على الدليل فهل للشيخ مؤلفات يمكن الرجوع إليها في فنون أخرى في فنون العلم.

الوالد: إضافة إلى ما ذكرته سلفاً من مراجع والتي لا يخلو منها ذكر آثار الشيخ عبدالله فإنه قد ألف مؤلفات نذكر منها ما يلي:

١- جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة الزيدية.

٢- مختصر السيرة النبوية في مجلد.

٣- الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة.

٤- منسك في الحج.

٥- وله ردود وأجوبة متفرقة في الدرر السنية في الأجوبة النجدية ومجموع الرسائل والمسائل جمع وترتيب الشيخ سليمان بن سحمان.

محمد: ولكني وقفت على رسالة كتبها حين دخلت القوات السعودية مكة المكرمة في محرم الحرام ١٢١٨هـ ألف ومائتان وثمانية عشر من الهجرة نقتطف منها رءوس أقلام للفائدة ولما فيها من بحوث هامة:

١ - التقديم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين وعلى آله وصحبه التابعين أما بعد: فإنَّا معاشر غزو الموحدين لما منَّ علينا وله الحمد بدخول مكة المشرفة نصف النهار من يوم السبت ثامن شهر محرم الحرام سنة ألف ومائتين وثمانية عشر هجرية بعد أن طلب أشراف مكة وعلماؤها وكافة العامة من أمير الغزو سعود حماه الله: الأمان وقد كانوا تواطؤ مع أمراء الحجيج وأمير مكة على قتاله والإقامة في الحرم ليصدوه عن البيت فلما رجفت أجناد الموحدين ألقى الله الرعب في قلوبهم فتفرقوا شذر مذر كل واحد يعد الإياب غنيمة له وبذل. حينئذ طلب الأمير الأمان لمن بالحرم الشريف ودخلنا شعارنا التلبية آمنين محلقين رؤوسنا ومقصرين غير خائفين من أحد من المخلوقين بل من مالك يوم الدين ومن حين دخل الجند الحرم وهم على كثرتهم مضبوطون متأدبون لم يعضدوا شجراً ولم ينفروا به صيداً ولم يريقوا دماءً إلا دم الهدْي أو ما أحل الله من بهيمة الأنعام على الوجه

(حـ) ونحرم زيادة القبور المشروعة مطلقاً.

(ط) وأن من دان بما نحن عليه سقطت عنه جميع التبعات في الديون.

(ي) وأنا لا نرى حق أهل البيت رضوان الله عليهم وأنا نجبرهم على تزويج غير الكفء لهم.

(ك) وأنا نجبر بعض الشيوخ على فراق زوجته الشابة لتنكح شاباً إذا ترافعوا إلينا..

فجميع هذه الخرافات وأشباهها لما استفهمنا عنها حسين بن محمد بن حسين الأبريقي الحضرمي ثم اللحياني كان جوابنا في كل مسألة من ذلك سبحانك هذا هذا بهتان عظيم فمن روى عنا شيئاً من ذلك أو نسب إلينا فقد كذب علينا وافترى ومن شاهد حالنا وحضر مجالسنا وتحقق ما عندنا علم قطعاً أن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه أعداء الدين وأخوان الشياطين تنفيراً للناس عن الإذعان بإخلاص التوحيد لله بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نص عليه بأن الله لا يغفره ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

حامد: لا أدري هل هذا الشبه الذي أشار إليه الشيخ عبدالله بن الإمام لا تزال قائمة أم أنها شبهات وقتية أثيرت ثم انتهت.

الوالد: هذه الشبه اللتي أشار إليها الشيخ عبدالله ضد أهل السنة والجماعة وحاملي راية التوحيد في الجهاد والدعوة والإصلاح قام على إثارتها علماء متغرضون ودونوا الكتب بالافتراءات الكاذبة والزور والبهتان نذكر منهم على سبيل الإيجاز.

أولاً: أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية في مكة والمتوفى سنة ١٣٠٤هـ من ألد خصوم الدعوة وقد تجاوز في الافتراء والقول على الشيخ وتزوير الحقائق ففي كتابه الدرر السنية ص٤٦ يقول والظاهر من حال محمد بن عبدالوهاب أنه يدعي النبوة إلا أنه ما قدر على إظهار التصريح بذلك.

ثانياً: داود بن سليمان بن جرجيس العراقي وقد استوطن نجداً وأقام في ناحية من القصيم وكانت مهمته إثارة الشبه ضد الدعوة حتى ظهر له تلامذة يأخذون عنه ومنهم عثمان بن منصور النجدي التميمي ومن أشهر كتبة المنحة الوهبية في الرد على الوهابية.

ثالثاً: يوسف بن إسماعيل النبهاني القاضي الشرعي في بيروت فقد أتى بمثل ما أتى به سلفه من التضليل والتزوير وقلب الحقائق ولا زلنا ننظر الكتب المدونة والمطبوعة والمروجة في العالم ضد هذا المنهج السلفي.

حامد: هل قام أحد برد هذه الشبهات ودحض هذه الترهات.

الوالد: نعم لقد أبدع العلماء في رد الشبه ودحض حجج المفترين إلا أن وقع القوة والسلطان له أكبر الأثر في ردع العابثين كما قال الشاعر:

السيف أصدق إنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

فبعد استيلاء الحكم السعودي في عهد الإمام عبدالعزيز بن الإمام محمد بن سعود انقضت الجيوش الإسلامية على المقابر وملامح الوثنية فوارتها وهدمت جميع القباب التي على الأضرحة لأهل البيت وغيرهم حماية للتوحيد وسد لذرائع الشرك كما قامت السلطة بالدعوة إلى التوحيد وبيان ما ينافيه أو ينافي كماله المطلق.

وفي رسالة الشيخ عبدالله آنفة الذكر بعض ردود مختصرة على بعض الشبه التي طلب أهل مكة بيان المنهج السلفي فيها والذي عليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

قال الشيخ عبدالله والذي نعتقده أن رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق وأنه حي في قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل. إذ هو أفضل منهم بلا ريب وأنه يسمع سلام المسلم عليه، وتسن زيارته صلى الله عليه وسلم إلا أنه لا يشد الرحل إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه وإن قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس.

ومن أنفق نفيس أوقاته بالصلاة عليه الصلاة والسلام الواردة عنه فاز بسعادة الدارين وكفى همه وعمه ولا ننكر كرامات الأولياء ونعترف لهم بالحق وأنهم على هدى من ربهم متى ساروا على الطريقة الشرعية إلا أنهم لا يستحقون شيئاً من أنواع العبادات لا حال الحياة ولا بعد الممات.

ونثبت الشفاعة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة حسب ما ورد وكذا نثبتها لسائر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حسبما ورد أيضاً.

أما التوسل وهو أن يقول القائل اللهم إني أتوسل إليك بجاه نبيك محمد أو بحق نبيك أو بجاه عبادك الصالحين أو بحق عبدك فلان فهذا من أقسام البدعة المذمومة ولم يرد بذلك نص كرفع الصوت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الأذان إلى أن قال الشيخ رحمه الله هذا ومما نحن عليه أن البدعة وهي ما حدثت بعد القرون الثلاثة مذمومة مطلقة خلافاً لمن قال حسنة أو قبيحة ولمن قسمها خمسة أقسام إلا أن أمكن الجمع بأن يقال الحسنة ما عليه السلف الصالح شاملة للواجبة والمندوبة والمباحة ويكون تسميتها بدعة مجازاً، والقبيحة ماعدا ذلك شاملة للحرمة والمكروهة فلا بأس بهذا الجمع.

وقال رحمه الله وقد أبطلنا ما كان مألوفاً عليه من التذكير والترحيم أو عرف علماء المذاهب. إنه بدعة ومنها قراءة الحديث عن أبي هريرة بين يدي خطبة الجمعة فقد صرح شارح الجامع الصغير أنه بدعة. ومنها الاجتماع في

وقت مخصوص على من يقرأ سيرة المولد الشريف اعتقاداً أنه قربة مطلوبة دون علم السير فإن ذلك لم يرد.

ومنها اتخاذ المسابح فإنا ننهى عن التظاهر باتخاذها..

ومنها الاجتماع على راتب المشائخ ورفع الصوت وقراءة الفواتح والتوسل بهم في المهمات كراتب السمَّان وراتب الحدَّاد ونحوهما.

ومنها ما اعتيد في بعض البلاد من قراءة مولد النبي صلى الله عليه وسلم بقصائد وبألحان وتخلط بالصلاة عليه والأذكار والقراءة ويكون بعد صلاة التراويح ويعقدونه على هذه الهيئة من المغرب بل تتوهم العامة أن ذلك من السنن المأثورة فينهى عن ذلك.

أما صلاة التراويح فسنة لا بأس بها بالجماعة والمواظبة عليها، ومنها ما اعتيد في بعض البلاد من صلاة الخمسة الفروض من بعد آخر جمعة من رمضان وهذه من البدع المنكرة إجماعاً.

ومنها رفع الصوت بالذكر عند حمل الميت وعند رش القبر بالماء وغير ذلك مما لم يرد عن من سلف.

محمد: لقد أحطنا بالشيء الكثير عن الشيخ عبدالله بن الإمام محمد بن عبدالوهاب من حيث الاتجاه العقائدي وما هو عليه من منزلة علمية وشخصية قيادية ونرجو أن نفتح صفحات التاريخ لينقل أحدنا ما دونه له علماء التاريخ في سجلاتهم التي هي الوثائق الأولى

في تحقيق المعلومات وتمحيص الأخبار حتى تبرز الصورة المشرقة في حياة الشيخ رحمه الله وبما أنه قد ذكر من ترجم له من المؤرخين فإنا نرجو أن نستمتع بصفحات مما كتبه المؤرخون عن الشيخ رحمه الله.

محمود: أفتح لكم صفحة من تاريخ مشاهير علماء نجد إذ يقول الشيخ عبدالله إلى جانب قيامه بتعليم العلم وفقهه ونشر مذهب السلف ودعوة التوحيد والإسلام مرجع قضاة المملكة السعودية في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وابنه الإمام سعود وابنه الإمام عبدالله فكان في ذات الوقت بمثابة رئيس القضاة وقال المؤرخ وكان رحمه الله شجاعاً مقداماً وقف في باب البحيرى المعروف بالدرعية وشهر سيفه وقاتل قتال الأبطال قائلاً كلمته الخالدة (بطن الأرض على عز خير من ظهرها على ذل) حتى نحَّى العساكر وزحزحهم عن مواقفهم وذلك في آخر حرب الباشا للدرعية وقد سلم الله الشيخ ونقله إبراهيم بن محمد علي باشا إلى مصر بعد ما استولى على الدرعية وذلك سنة ١٢٣٣هـ انتهى كلام صاحب كتاب مشاهير علماء نجد الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف رحمه الله. وقال صاحب كتاب علماء نجد في ستة قرون الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام.

ولد الإمام عبدالله في مدينة الدرعية عاصمة الجزيرة العربية عام ١١٦٥هـ ونشأ في بيت والده نشأة دينية صالحة وجو علمي ووسط كريم

وطبعته هذه المؤثرات على الصلاح والتقى وجبله على الورع والعفاف كما قادته التربية الصالحة إلى الرغبة في العلم والحرص على تحصيله فنشأ عليه منذ نعومة أظفاره وقرأ القرآن وحفظه ثم شرع في قراءة العلم على والده شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ولا نعلم له شيخاً غيره وكفى به معلماً ومربياً وموجهاً وقال المؤرخ فلما حس بضخامة المسئولية وفكر في واجب الزعامة والقيادة زاد نشاطه وجهاده وكفاحه في سبيل هذه الدعوة ونشرها والذود عنها وحمايتها والذي يظهر لنا من سيرته أن جل اهتمامه في عهد والده كان التحصيل والتفقه والتعليم وبعد أن توفي والده وأسندت الأمور إليه فإن جهاده تعدى أعمالاً أوسع من ذلك فقد أخذ في نشر الدعوة والرد على المخالفين إلا أن صفة الرد والمجادلة قد تغيرت عما كانت عليه في عهد الشيخ محمد. فقد كان موضوع الدعوة في زمن الشيخ مجادلة المعارضين في مسائل تنافي توحيد العبادة أو تنافي كمالها. والمخالفون يرون أن هذه الأشياء ليست من الشرك في شيء ولكن الكثير منهم يعدها من وسائل الشرك لا من مقاصده فتكون لديهم من الشرك الصغر فكان هذا هو محور الخلاف.

وأما زمن الشيخ عبدالله بن محمد فالدعوة السلفية قد ألصق بها ما ليس منها وقد شوهت من أعدائها بآراء ومعتقدات هي بعيدة عنها كما أن رفعة الدعوة قد اتسعت وصار حكام الدعوة مالكين أو مجاورين لبعض الطوائف التي لا تدين بمذهب أهل السنة والجماعة من الرافضة والزيدية في الأحساء واليمن وبعض الأشاعرة والماتريدية في الحجاز فصار موضوع

الدعوة وسلاحها مجابهة هذا النوع بمثل سلاحه وعتاده فأخذ يوضح دعوة والده ويشرحها ويظهرها على حقيقتها خالية من الأكاذيب التي ألصقت بها ومن الزور التي وصمت به ويرد كل ما يقول ويعتقد إلى أصوله من الكتاب والسنة وإلى معتقد أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ومنهم الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب الخالدة. وقال الشيخ عبدالله البسام في كتابه ولما استولت الجيوش العثمانية على الدرعية وعذب من عذب وقتل من كان من الشهداء الأطهار ابنه العالم الصالح الشيخ سليمان الذي قتل صبراً دون دينه وبلاده وحرمه. ولَّما قتله إبراهيم باشا أراد أن يغيض والده بقتله فقال له قتلنا ابنك سليمان فأجاب الشيخ عبدالله بقلب الصابر ولسان الواثق (إن لم تقتله مات) فنالت هذه الكلمة الصادقة من هذا الشجاع المؤمن ما لم تنله السهام الحداد فأخذ الباشا يرددها بلسانه ويتأملها بعقله.

وقال الشيخ بن بسام فلما نقل آل الشيخ إلى مصر كان المترجم له في مقدمة المنقولين وذلك عام ١٢٣٢هـ، فاستقر في القاهرة ومكث في القاهرة من حين نقل حتى توفي عام ١٢٤٤هـ غريباً بعيداً عن وطنه وعن عارفي فضله ومقدري علمه في بلاد هائجة مائجة لا تعرفه ولا تقدره. ونقول فيه ما قاله المصطفى صلى الله عليه وسلم حين قتل عمه حمزة في المدينة عن بني هاشم (لكن حمزة لا بواكي له) مات في المنفى فلم يؤس بموته ولم يتألم

لفقده إلا أفراد قلائل من لحمته وما أحقه بأبيات مالك بن الريب وقد مات بعيداً عن أهله ووطنه فقال:

تذكرت من يبكي عليَّ فلم أجد ... سوى السيف والرمح الرديني باكيا
ولكن بأطراف السمينة نسوة ... عزيز عليهن العشية ما بيا
أقلب طرفي فوق رحلي فلا أرى ... به من عيون المؤنسان مراعياً
وبالرمل مني نسوة لو شهدنني ... بكين وفدَّين الطبيب المداويا
أقول لأصحابي ارفعوني لأنني ... يقر لعيني أنْ سهيل بدالیا
يقولون لا تبعدوهم يدفنوني ... وأين مكان البعد إلا مكانيا

رحمه الله رحمة الأبرار وحشره مع المصطفين الأخيار.

محمود: لقد تعرفنا على جوانب من حياة الشيخ العلمية والتاريخية وبقي الأهم من حياته وهي ما أشرنا إليه في الجلسات السابقة منهجه في الدعوة والإصلاح فيا حبذا لو استعرضنا ذلك المنهج كخطوط عريضة ليكون ذلك دليل الداعية كما هو ضمن منهج خطة العمل في إصدار هذه السلسلة المباركة.

الأخوة يتبادرون بالإجابة على هذا الاستفهام العريض واحداً واحداً.

محمد: من المعلوم أن المنبر هو المركز الإسلامي الأول وهو الوسيلة لإيصال ما جَّد من جديد بل هو أداة لإصلاح الأمة واختيار المواضيع المناسبة لمعالجة مشاكل المجتمع، وكان الشيخ عبدالله رحمه

الله خليفة والده في تسنم المنبر والإمامة بالمسلمين روى عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب إنه بعد أن أسن وأثقل قال لمن حوله مروا عبدالله فليصلي بالناس فقالوا له إنه ذهب إلى المسجد فقال الشيخ الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعبد الله.

قال الشيخ بن بسام في تاريخه فلما توفي والده (يعني الشيخ محمد بن عبدالوهاب) خلفه في أعماله الكبيرة ومهامه الجليلة وحل محله في زعامته الدينية ومقاماته الإصلاحية فصار إمام المسلمين وزعيمهم الديني ومرجع علمائهم وقضاتهم في أعمالهم القضائية والدينية كما هو العضد المساعد في عهد ثلاثة من أئمة آل سعود الحاكمين الفاتحين فقد عاصر الإمام عبدالعزيز والإمام سعود بن عبدالعزيز والإمام عبدالله بن سعود فكان له مكان أبيه من أبيهم (انتهى).

ومن هذا ندرك أن المنبر هو وسيلة لإبلاغ الدعوة قبل أن تصلنا وسائل الإعلام الحديثة إلا أنها قد تنوعت أغراضها وقد يساء استعمالها أما المنبر فله قدسيته ومقامه في نفوس المسلمين سيما وأنه في المسجد وتكون الخطابة قبل أو بعد الصلاة والنفوس متهيئة لتقبل النصيحة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستخدم المنبر أداة للإعلان والإعلام فيما جد من وحي الله وكذا سار العلماء والدعاء على منوال هديه صلى الله عليه وسلم من جعل المنبر دعامة

من دعائم الدعوة والإصلاح ووسيلة لها قدسيتها ومكانتها في نفوس المسلمين ولا تزال إن شاء الله.

أحمد: من معالم العمل الإسلامي ودعائمه الجهاد في سبيل الله والذب عن دينه وقد كان لعلمائنا اليد الطولى في الكفاح وحمل السلاح وللشيخ عبدالله مواقف تنبئنا عن شجاعته ونضاله وكفاحه المسلح.

قال الشيخ عبدالله بن بسام في تاريخه وكان الشيخ عبدالله رغم تقديم سنه على رأس المجاهدين في أحد ثغور مدينة الدرعية شاهراً سيفه يقاتل قتال الأبطال المغاوير ويلهبها حماس الجند مردداً كلمته المشهورة (بطن الأرض على عز خير من ظهرها على ذل) حتى رد العساكر على أعقابهم.

هكذا مواقف العلماء والأبطال المغاوير في الكفاح والجهاد لحماية الدين والوطن ومكافحة المعتدين الغاشمين، فقد حمل إبراهيم باشا بن محمد علي الألباني ممثل الدولة العثمانية على الدرعية حملاته المنكرة ولا ندري أهو جهاد ديني يرى كفر واستباحة أموال ودماء مسلمي الجزيرة العربية المنقادة للدعوة السلفية أم هو الحكم وحب السيطرة وإخضاع الأمم الإسلامية تحت حكم الخلافة العثمانية.

هذا ما يتشكك فيه الباحث ولعل الثاني أقرب إلى الواقع. إلا أن علماء الدعوة السلفية بما فهموه من واقع الجيوش التركية وأعمال

الخلافة العثمانية يقولون بتكفيرهم ووجوب كفاحهم وإخراجهم من الجزيرة العربية. وممن اشتد عليهم العالم الأزهري الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ. والذي عاش في مصر إحدى وثلاثين عاماً بعد النكبة الأولى للحكم السعودي في دوره الأول ولاشك أن الشيخ عبداللطيف قد سبر الأحوال وعرف مكامن الأعداء، وهكذا العلامة الشيخ حمد بن عتيق في كتابه سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك. فقد كان مقذعاً في الرد عليهم مدلياً بالحجج على تكفير الجيوش العثمانية.

ومن أبرز ما يوجب تكفيرهم التحاكم إلى القوانين الوضعية في التشريع مع التجاء الكثير منهم إلى المقابر والمقامات الوثنية المحبوكة باسم الإسلام فعلى هذا انخرط في سلك الجهاد والكفاح علماء فضلاء يرون الجهاد قربة والشهادة في سبيل الله غنيمة.

ومن أبرز المجاهدين هذا العالم المترجم له الشيخ عبدالله بن الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله.

حامد: أما أنا فإنني سأبرز في حديثي هذا عن التعليم الذي قام بدوره الشيخ عبدالله وتحمل أعباء التدريس خلفاً لوالده رحمه الله.

ومما لا شك فيه أن التعليم من أهم وسائل الدعوة وبمجالس الذكر وحلق التعليم تغير وجه تاريخ الجزيرة العربية في عهد الإمامين وما

بعدهما وكما تم استعراضه من البحوث والفتاوى للشيخ عبدالله فإن ذلك دليل تضلعه في العلم وأهليته للتعليم.

وقد فتح الله على التلامذة كانوا هم ورثة العلم والقائمون على أعمال القضاء والتدريس في الجزيرة العربية في حكم الدولة الأولى السعودية نذكر منهم أبناءه الثلاثة سليمان، وعبدالرحمن، وعلي وابن أخيه الشيخ عبدالرحمن بن حسن وابن أخيه الشيخ علي بن حسين والشيخ محمد بن سلطان والشيخ عثمان بن عبدالجبار والشيخ عبدالعزيز بن أحمد المشرف والشيخ عبدالعزيز بن معمر والشيخ أحمد الوهيبي والشيخ سعيد بن حجي والشيخ جمعان بن ناصر والشيخ إبراهيم بن سيف وغير هؤلاء كثير.

وبقي التساؤل هل كان هناك تفنن في المعارف ودراسات متوسعة كما هو جارٍ في الأمصار أم كان التعليم في نطاق ضيق ومعارف محدودة.

الوالد: أجيب على هذا الاستفسار بأن ما وصل إلينا من معارف بأقلام علماء الدعوة ندرك أن الغاية الأولى هي معرفة الكتاب والسنة ووسائلها في النحو والصرف وعلم المصطلح وأصول الفقه والتفسير.

أما الترف العلمي وزيادة البحث والتفريع فإن سعة رقعة الدولة السعودية واحتياجاتها للعلماء والفقهاء لتنصيبهم في القضاء وتعليم

العامة أمور دينهم كان ذلك حاجزاً من أهم الحواجز في التضلع في شتى المعارف وفنون العلم جملة بل ولعل أئمة الدعوة لا يرون ذلك لما فيه من تبديد جهود العالم وحده عن ممارسة الأعمال الميدانية ولكن الذي يعتمد عليه علماء الدعوة في اختياراتهم الفقهية هو ما درج عليه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم مع التزامهم بالمذهب الحنبلي والأخذ بالراجح منه.

هذا عرض موجز لفقرة التعليم والتي قام بتحمل أعبائه العالم الفاضل الشيخ عبدالله ابن الإمام محمد بن عبدالوهاب في الدرعية خلفاً لوالده رحمهم الله.

محمود: وجاء دوري في بيان بعض المعالم للدعوة التي قام بها الشيخ عبدالله وهي الاستشارة والقيام بجانب الأئمة الثلاثة عبدالعزيز وسعود وعبدالله. فقد كان ساعدهم الأيمن في الرأي والتوجه والمشورة وهذا عامل أساسي من عوامل إصلاح الحكم إذ هو البطانة الأولى للدولة السعودية في السلم والحرب فلهذا كان الرضا وامتداد الحكم وقناعة المسلمين بأن الحكم السعودي ليس إلا صورة عن سلف الأمة في الحكم والإدارة.

ولعل من أبرز ما واجه الشيخ عبدالله من مشاكل استعصى حلها هي مقاومة العثمانيين للدولة السعودية الأولى مما اضطر الشيخ إلى حمل السلاح ضدهم.

وكما أسلفنا في الجلسات الماضية في دخول القوات السعودية مكة المكرمة بقيادة أميرها المظفر سعود بن عبدالعزيز عام ١٢١٨هـ، وكان الشيخ عبدالله هو المتحدث باسم الأمير عما سيكون عليه الحكم وما عليه أئمة الدعوة ومناقشة كل من خالف حتى أزال الأوهام واتضح منار الحق واستسلم الناس طائعين مستبشرين ثم بعد ذلك هدم القباب والمزارات وجمع معالم الخرافات والبدع..

أكرر وأقول أن السياسة السعودية الأولى تسير وفق معالم واضحة هي تحقق التوحيد والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادة والقضاء وتصريف أمور الحكم ولا شك أن العلماء هم الذين يصيغون تلك المشورات وفق ما فتح الله عليهم وما يدينون الله به.

فإلى هنا نعلم أن النصيحة واجب كل مسلم تجاه دولته وأمته وليس هناك ألقاب تضفيها الدولة للعالم أو الأمير كما هو في الدولة العثمانية من ألقاب ونعوت بل وأن الدول السعودية لا تزيد على تسمية العالم بالشيخ كما أن الحاكم يُدعى بالإمام ومن تحته من المناصب بالأمير وكفى.

هذا هو الطابع الإسلامي الأول وهذا هو المعنى الذي استوحاه سلف الأمة من هدى نبيهم صلى الله عليه وسلم.

ننتهي إلى أن الشيخ عبدالله كان بمثابة الوزير والمشير والإمام القدوة بجانب التعليم والإشراف على القضاء والفتيا والبحث في هذا المجال يطول.

وأكتفي بهذا ليحدثنا الإخوان عن معالم أخرى من معالم الدعوة في حياة الشيخ عبدالله رحمه الله.

محمود: وكانت مهام الشيخ عبدالله الفتيا والإشراف على أعمال القضاء فهو رئيس لهيئة العلماء والمرجع لهم والواسطة بينهم وبين الدولة ولا شك أن هذا ثغر من أهم الثغور لحماية الدين ففي القضاء الشرعي يكمن حماية الشريعة الإسلامية ومطابقة أحكام القضاة بالحكم الشرعي الواجب اتباعه وهذا لا يقل أهمية على ما سبق من عوامل الدعوة وطرق الإصلاح التي انتهجها الشيخ عبدالله في تحقيق دعوته. ولعلنا نذكر الأثر الشريف (أن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن).

حامد: يقول هل كان هناك قانون مدون ودستور واضح وأنظمة ولوائح أم كان الأمر يجري على وفق ما كان عليه علماء السلف وعلى حسب اجتهاد القاضي يحكم بما يرى.

الوالد يجيب: الضابط في الموضوع هو قوله تعالى ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ فكان المذهب الحنبلي هو ما يؤخذ به في الأحكام

الشرعية الفرعية والمبنية على اجتهادات العلماء الموثوق بهم كصاحب كتاب المغني والكشاف والإنصاف وغيرهم أما ما أشرت إليه من وجود دستور بالمعنى الشائع في هذا العصر وتقنين الأحكام الشرعية فهذا غير موجود في الدولة السعودية إلى يومنا هذا..

الوالد: أما التأليف وإشاعة الكتب ونشرها فكان الشيخ عبدالله يكتب حسب ما يرى فيه الحاجة إذا لم يجد من الكتب تأليف الإسلاف ما يحصل به المقصود وتتم به الفائدة فلذا لم تكثر مؤلفات الشيخ عبدالله غير ما أشرنا إليه في بداية الكلام ومما كتبه السيرة النبوية في مجلد، ربط السيرة بالدعوة وأوضح النهج السوي فيما كتبه في هذا الكتاب.

كما قام بتأليف الكلمات النافعة في مكفرات الواقعة كما كان يهتم رحمه الله بالردود على الشبه ودحض الباطل بالأدلة وكما أشرنا إليه في بداية الكلام أنه بعد اتساع الدولة السعودية ودخولها الحجاز حاكمة مستنصرة قامت الشبه والاعتراضات تثيرها الأحقاد من رجالات السياسة والمبتدعين فوقف الشيخ منها موقف الأعراب والتبيين وإزالة ما علق في أذهان العامة والخاصة وكان مسدداً في إجابته موفقاً في ردوده.

هذا وكان رحمه الله قد جعل من وسائل دعوته المراسلات للأعيان من العلماء وغيرهم وقد دون له التاريخ سجلاً حافلاً من هذه المكتبات

والمراسلات كرسالة أرسلها إلى الشيخ عبدالله الصنعاني يسأله فيها عما يدينون به ويعتقدونه من الحق. قال الشيخ عبدالله.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنام وعلى آله وصحبه البررة الكرام.

إلى عبدالله بن عبدالله الصنعاني وفقه الله وهداه وجنبه الإشراك والبدعة وحماه وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. الخ. وقد أجاب الصنعاني الشيخ عبدالله على كتابه بالموافقة على ما فيه إلا قوله: مذهبهم مذهب الإمام أحمد فإنه يقتضي تقليده والتقليد محظور وإنما ينبغي اتباعه في الأخذ من الكتاب والسنة.

فأجابه الشيخ عبدالله إجابة مستوفاة وبين ما هو عليه فرحم الله الشيخ عبدالله فهو بحق إمام ومناظر وداعية إلى الله ونص رسالته كنموذج لمكاتباته ومراسلاته أسوة بما عليه سلف الأمة واقتفائهم بالسنة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكاتب الملوك والأعيان ويدعوهم إلى الإسلام وصلى الله على محمد.

أعلامنا في سجل التاريخ

(٤)

الشيخ حمد بن ناصر بن معمَّر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد كل الحمد لمن له الحمد والثناء والصلاة والسلام على نبي الرحمة أفضل الأنبياء وعلى آله وأصحابه الأصفياء ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإن الواجب على من عرف حقيقةً أن يبرزها ومفهوماً أن يعرب عنه خدمة للحقائق وإعراباً عن المفاهيم الصحيحة حتى يستبصر الناس ويزول سوء الفهم والالتباس. وحيث إن كثيراً من الحقائق عن أعلام الدعوة الإسلامية وعلمائها في القرن الثاني عشر الهجري قد شط مزارها ونأت ديارها مما جعل البعض يستعجل في الحكم بمفهوم خاطئ فضلَّ وأضلَّ وتلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت. ولكن لا يجوز أن نغض الطرف عما حدث، ففي هذا استمرار الضلالة وتوارث الأخطاء لذا سلكت مسلك توضيح الحقيقة بتراجم أعلام هم على أشدهم في أمر الله قولاً وعملاً واعتقاداً. من أولئك ما تمت الكتابة عنهم في سلسلة أعلامنا في سجل التاريخ الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود والشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب وهذا هو الرقم الرابع من السلسلة عن الشيخ حمد بن ناصر بن معمَّر الذي رضع لبان التوحيد وناصر الدعوة

والتجديد وكان له دور في القضاء والفتيا والمناظرات والجدل الشرعي المثمر مما جعل ذكراه خالدة خلود الزمان فقد ألف ودعا وحكم وعلم في زمن كانت الدعوة فيه تكسب الأنصار مما يحيط بها من الأخطار فأذن الله بفجر جديد وطالع سعيد وإن من الخير أن يطلع القارئ على هذا الحوار بين أبٍ وأبنائه عن سيرة هذا الإمام وأهم ركائز أعماله ففي ذلك نبراس للسالكين ودعوة للداعين كي يرتشفوا من تلك المناهل ويسيروا على ذلك المنهج والطريق الأبلج فهم خير من يقتدى بهم ويتأسى بهم بعد الرعيل الأول ومن على قولهم المعول فإن الإمامة باقية في هذه الأمة وقد شرع الله لنا الدعاء في كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ فبإمامة الدين القدوة الحسنة والمثال الكامل الأَمامة التي ورثها إبراهيم خلفه ((إن إبراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين)).

ولعل القارئ يمنحنا عذراً في الاختصار حتى لا نحدث ملالاً ولا نحمله كللاً والله ولي التوفيق. وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

إسماعيل بن سعد بن عتيق
الرياض ٢٧/ ٨/ ١٤٠٨هـ

الجلسة الأولى

الوالد: الحمد لله والصلاة على رسول الله وبعد: نسأل الله أن يجعل اجتماعنا اجتماعاً مرحوماً وتفرقنا تفرقاً معصوماً وأن لا يجعل فينا ولا منا شقياً ولا محروماً وبعد: فإن مما يثلج الصدر أيها الأبناء الكرام ويفتح نافذة الأمل في تحقيق ما نصبوا إليه ما تلقيته من مكاتبة أو مكالمة ممن اطلع على ما سجلناه في جلساتنا السابقة التي أخذت مأخذ الحوار بين الأب وأبنائه عن سيرة ثلاثة أئمة مضوا، الشيخ محمد بن عبدالوهاب وابنه الشيخ عبدالله بن محمد ويتوسطهما الإمام الحاكم محمد بن سعود.

وقد طلب الكثير ممن قرأ تلك الرسائل واستطلع على سيرة أولئك الأعلام بهذه الصيغة الشيقة والحوار الهادف أن نواصل المسيرة ونبرز مكنون تلك المسيرة حتى ترتفع أعلام التوحيد على قمم الأعلام في التجديد وإن الفأل معقود بطلعة شباب وشابات تحرروا من قيود التبعية وشقوا طريقهم في هدفهم المنشود حباً لله ورسوله والأخذ من ينابيع بحيرات الحكمة ومشكاة النبوة، وهذا ما يزيدنا شوقاً إلى شوق في متابعة الجلسات والتحدث عن أعلام مضوا وأسلافٍ أنطقوا الألسنة للتحدث عنهم سيرة وعقيدة وكفاحاً ونضالاً وقدوة ومثالاً، رحم الله أولئك رحمة واسعة فإن فيما سجله التاريخ عبرة وعظة ونور وتبصرة فإلى تاريخنا من جديد عسى أن نكون ممن قال الله تعالى فيهم ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ

يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾.

وإن ما يجب التنبيه عليه في الاستجواب والحوار أن تكون هادفة لنصوب الأنظار إلى أهم معالم حياة الشيخ حمد بن ناصر آل معمر. فلنبدأ حديثنا متوكلين على الله وهو المعين لا سواه.

محمد: نشكر الوالد على هذه الديباجة وهذا التقديم الذي نظن أننا وحدَنا الذين استفدنا ولكن القلم رسول إلى كل قارئ ويكفي أن الله بدأ الوحي بقوله تعالى ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ وأقسم بالقلم فقال: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم:١] لذا أؤكد لأخواني الحاضرين أن الكتابة والتعبير عن مفقود أو موجود كمفقود تستلزمه الدعوة فلنأخذ الأقلام ونسجل ما يدور في الحوار متمنين أن يمتع الله والدنا بالصحة حتى نمضي وفق معالم الحق وواضح السبيل فجزاه الله عنا خير الجزاء.

أحمد: كفى ما ذكره والدنا وأخونا الكبير وها نحن نتهيأ ماضين وسائلين عن ركائز أعمال هذا العالم الفاضل والإمام القدوة الشيخ حمد بن ناصر بن معمر النجدي التميمي تلميذ الإمام المصلح محمد بن عبدالوهاب والداعية المناصر للحق وداحض شبهات الباطل والقاضي الشرعي في عاصمة دولة التوحيد إبان مطلع التجديد (الدرعية) والكاتب البارع وهو المؤلف المنشئ والذي كتب عنه المؤرخون في الزمن القريب والبعيد.

فالشيخ حمد بن معمر ليس بنكرة في التاريخ ولكنه غرة في الجبين وقدوة صالحة ومثال حسن فعسى أن يوفقنا الله لشرح معالم سيرته وبيان منهجه ومسيرته حتى يكون لنا ولمن بعدنا مثالاً يحتذى وأسوة يقتدى وهذا ما ينشده والدنا من متابعة الجلسات والأمر بكتابة الكلمات تخليداً للذكرى وتشييداً للبناء فقد كاد صرح التوحيد أن تهدم قمم حصونه وأن يحاط بأعدائه وخصومه لولا هذه الطائفة التي قدمت عربون نجاحه بالدماء والأموال فأعزهم الله بعزه ونصرهم بنصره وهذا وعده الذي لا يخلفه في قوله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾.

محمود: مما يؤسف لله أننا أمضينا عمراً في مراحل دراساتنا ولم نسمع ولم نلحظ إشارة أو تلميحاً فضلاً عن التصريح عما سجله التاريخ لهؤلاء الأعلام سوى ما اطلعت عليه بمجهود ذاتي عن سيرة هذا الإمام وأمثاله مما يجعل الناشئة تتصور أن تاريخهم مبتوراً وأن سلسلة القادة تخلله زمان كان في طياته منسياً، والأمر بخلاف ذلك فلا أدري كيف أفسر هذه الظاهرة- زهد الناس فيما بين أيديهم ورغبتهم في البحث عما هو في منأى عنهم.

ومن منا لا يعرف عن جمال الدين الأفغاني وعن الشيخ محمد عبده وعن زعماء السنوسية والمهدية.

لقد امتلأ التاريخ مادحاً أو قادحاً بذكر هؤلاء وأمثالهم وغفل عن من حملوا راية التوحيد ودافعوا عنها باللسان والسنان وأبلوا فيها بلاءً لا ينكر التاريخ أمثاله ولا يجهل الناس أقرانه ولكن الحق ليس فيما يقول الناس، إنما ما يشهد له وحي الرسالة ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ولا زالت الأقلام توافينا بكل جديد عن المرشد العام للإخوان المسلمين، الإمام حسن البنا رحمه الله بالصحف والكتب والرسائل مع استعمال وسائل الإيضاح بالصور والقصص والتعبير الجيد ولست أعني بهذا غمط حقوق أولئك ولا استكباراً عن قبول ما جاؤوا به ولكنني أود العدل والأنصاف إذا ما قورنت الدعوات وأشير إلى أعلامها بقلم منصف وإرادة صادقة ألاَّ يجهل التاريخ أو يتجاهل أهله مثل هذا الإمام الشيخ حمد بن ناصر بن معمر وأقرانه تلامذة الشيخ الإمام أو من كان من المدرسة السلفية هذا هو ما أشرت إليه بذكر أسماء من تقدموا مع أني لست على قناعة بصلاحية منهجهم واستمرارية تشجيع مدارسهم في هذا العصر الذي يحتاج الناس فيه إلى معرفة أصول دينهم وما يتنافى مع عقائدهم فقد اشرأبت أعناق المبتدعين وتفاقم شر المحدثين فهذا أوان إعلان التوحيد والدعوة للتجديد وأخذ الناس إلى منهج الله الأسنى وقاعدته التوحيد ومنطلقه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

حامد: فمتى نبدأ بالمقصود ونضفي القول على المنشود، سيرة هذا الإمام ومن أين نبدأ؟ هل نسير على غرار من كتب التاريخ وترجم للمشاهير بذكر ولادته ووفاته ونسبه؟ أم نتوجه إلى البحث عن مآثره وأعماله. قرأت فيما قرأت عمن كتب عن الشيخ حمد بن معمر: الاقتصار على مثل هذا النوع من التاريخ ولكن لا أراه مفيداً إذا لم نبرز الحقيقة في بيان أصول الدين ومخالفة المبتدعين دعوة للناس فيما يجب اعتقاده ودفاعاً عمن أثاروا حولهم الشبهة لا لشيء وإنما أراد الأعداء أن يقدحوا في الأشخاص كهدف وإن كانوا غير مرادين إلا أن المراد تحطيم معالم الحق في أشخاصهم، فقد عج التاريخ بأصوات منكرة وأقلام مسعورة وإرادات يحيد بها الهوى عن جادة الحق كأمثال داوود بن جرجيس العراقي في مثل كتابه.. صلح الإخوان، وعثمان المنصور النجدي في كتابه.. كشف الغمة عن تكفير هذه الأمة. وأضرابهم كثيرون.

الوالد: أحسنت يا حامد وإن كنت آخر المتحدثين لكني معك في كل ما تقول إذ نرسم الخطة في جلساتنا اللاحقة على أن نستعرض ما كتبه وألفه وأجاب عنه الشيخ حمد بن ناصر بن معمر.

لنستعرض ما سجله قلمه مما يعتقده ويدين به سواء كان ذلك تأليفاً أو رداً أو جواباً على سؤال ونشير إلى ما تم طبعه في مجموعات الرسائل والمسائل وما أفرد لوحده بالطبع وأوجه أبنائي الكرام إلى اقتناء مؤلفات

هذا العالم للاستفادة منها واستعراضها في جلسات لاحقة على غرار ما قرأناه من رسائل وكتب إضافة إلى مطالعات ما كتبه عنهم المترجمون ككتاب مشاهير علماء نجد وكتاب علماء نجد خلال ستة قرون لابن بسام وكذا ما كتبه مؤرخ نجد ابن بشر وابن غنام وإذا كان هناك نشرات دورية فعلى الأبناء البحث عنها لتحضيرها والاستفادة منها في جلساتنا القادمة.

الجلسة الثانية

محمد: أذكر بعض آثار الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله فيما كتبه.

١- الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب وهو جواب على ثلاث مسائل، **الأولى:** في حكم دعاء الأنبياء والولياء والاستغاثة بهم في تفريج الكربات. **الثانية:** في من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ولم يصلِ أو يزكِ هل يكون مؤمناً. **الثالثة:** في حكم البناء على القبور (وهو مطبوع متداول).

٢- حقيقة التوحيد والعبادة والفرق بين دعاء العادة والعبادة والشرك الأصغر والأكبر والشفاعة والوسيلة وهو جواب لسؤال من محمد بن أحمد الحفظي يسأل فيه عن مسائل أوردها بعض المجادلين ويطلب منه الجواب فأجاب الشيخ حمد بن معمر في نحو من ثمانين صفحة تحت العنوان أعلاه (طبع بأمر الملك عبدالعزيز).

٣- مجموعة رسائل ومسائل طبعت في المجموعة النجدية في الجزء الأول منه وفي الثاني وطبعت مفردة في عام ١٣٩٨هـ من منشورات دار ثقيف وفيها:

١- حكم التقليد وعدم معرفة الدليل من صغار المتعلمين وهل يكفي العمل بالفقهيات المجردة عن الدليل لاسيما وقد حكى بعض المتأخرين الإجماع على تقليد الأئمة الأربعة أجاب الشيخ حمد رحمه الله في نحو ثلاثين صفحة.

٢- إلى الأخوان جمعان ومرزوق يسألون عن مسائل في الخلية والبرية والبائن في الكنايات في الطلاق هل تقع في ثلاث أم واحدة وكذا إذا ملَّك الزوج امرأته أمرها بأن قال أمرك بيدك، وكذا من قال أنت علي كظهر أمي يعني من الطلاق وعن العارية مضمون وإن لم يشترط المعير الضمان.

٣- من حمد بن ناصر إلى الأخ جمعان يسأل عن المنكر الذي يجب إنكاره.

٤- إلى الأخ جمعان يسأل عن قول العلماء فيمن دفع دابته إلى الآخر يسقي عليها زرعاً يجزئ من الثمرة سواءً كان الدفع قبل وجود الزرع أو بعد ما اخضر الزرع.

٥- إلى الأخ جمعان بن ناصر يسأل عن إحدى عشرة مسألة، الأولى المطلقة البائن إذا مات زوجها الذي أبانها وهي في العدة والمسألة الحادية عشرة الإقرار بالزنا هل يكفي فيه مرة أو أربع.

٦- إلى الأخ جمعان يسأل عن مسائل الأولى إذا سرقت الدابة ونحرت. الثانية إذا دبر الرجل جاريته، الثالثة إذا تصرف الفضولي وأنكره صاحب المال.

٧- إلى الأخ جمعان يسأل عن مسائل إحدى عشرة مسألة أولها فيمن طلق زوجته في مرض موتها وأبانها. الحادية عشرة إذا زنت المرأة البكر وجلدت فهل تغرب أم لا.

٨- التهليلات العشر من صلاتي المغرب والعشاء وكذا المأثور في الأذكار عقب الصلاة ورفع الصوت بها ومسألة التلقيح بالجدري.

٩- إلى الأخ إبراهيم بن محمد! يسأل عما تضمنته سورة الإخلاص من التوحيد العلمي وعن الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية.

١٠- سؤال من منصور أبا حسين عن تعريف الواجب والمسنون وتحية المسجد وقت الكراهية.

١١- في مسائل مختلفة منها:

أولاً: مسبوق دخل مع الإمام ولم يعلم هل هو في أول الصلاة فيستفتح ويقرأ سورة أم في آخرها فيسكت.

ثانياً: رجل في سفر ودخل عليه وقت الزوال وهو عادم الماء فأخر صلاة الظهر ناوياً للتأخير إلى العصر فوجد الماء في وقت الظهر ولم يستعمله فلما جاء وقت العصر إذا هو عالم بالماء.

ثالثاً: رجل قضى رجلاً جديد (عملة معدنية) والذي عندهم أنها زينة (لا غش فيها) وأخذت أياماً عنده بعدها ولم تعبر جاء بها إلى قضاه فأنكرها ولم تكن بينه فاليمين على من تكون؟.

رابعاً: باع رجل ثمرة بعد بُدوِّ صلاحها بشرط القطع لنفي الضمان لا حقيقة الشرط هل يصح ذلك وينتفي عنه الضمان أم لا. إلى نهاية التاسعة عشرة ونصها: لو تصاف اثنان ثم أتى ثالث ثم ذكر أحدهما أنه كان محدثاً وانصرف على تصح صلاة الأول والثاني أم لا تصح صلاة الثلاثة.

١٣- الرسالة الثالثة عشرة وهي من مسائل سئل عنها الشيخ الإمام حمد بن ناصر.

المسألة الأولى: إذا التقت فئتان من المسلمين ووقع بينهما قتال وقتل من إحدى الطائفتين رجل وعلم قاتله بعينة ورضوا بالدية فهل تكون الدية على القاتل أم على جميع الطائفة. ومن المسائل، المسألة الخامسة: هل منيحة الناقة ونحوها كالعارية والقول فيهما سواء؟ فأجاب رحمه الله: المنيحة عارية لأنه قبضها للانتفاع بلبنها فهو قايض المحصن نفسه وللمعير الرجوع في العارية متى شاء فإن تلفت عند المستعير فهل هو مضمون بكل حال كما هو المشهور عن أحمد والشافعي أم لا تضمن مطلقاً كما هو المشهور عند مالك وأبي حنيفة وهو اختيار ابن القيم رحمه الله في الهدى أم لا تضمن إلا أن يشترط ضمانها كما هو في اختيار الشيخ ولا يخفى الراجح عند المتأمل وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محبة وصحبه وسلم. وقع ذلك سنة ١٢٧٥هـ.

١٤- وله فتاوى على مسائل: ١- فيمن صلى خلف الإمام منفرداً ٢- في صلاة من أخل بالفاتحة ٣- فيمن صلى وفي بدنه أو ثوبه نجاسة نسيها أو

لم يعلم بها إلا بعد انقضاء صلاته ٤- إذا صلى الإمام محدثاً جاهلاً هو والمأموم ٥- إذا كان في أعضاء الوضوء نجاسة ٦- إذا توضأ الإنسان لنافلة لم ينوِ به الفرض هل يصلي به الفرض ٧- إذا دخل على عادم الماء وهو يرجو أن يصلي في آخر الوقت هل يصلي بالتيمم في أول الوقت أو يؤخر الصلاة حتى ينتهي الماء. ٨- إذا طلقت المرأة وهي ترضع ولم يأتيها الحيض بسبب الرضاع ما عدتها. ٩- إذا ادعت المرأة أنها اعتدت بعد الطلاق في وقت تمكن العدة فيه هل تصدق أم لا. ١٠- هل وجه الأمة المملوكة عورة ١١- ما حكم الكلام عند الأذان والإقامة وتلاوة القرآن ١٢- هل ينادي الشخص والديه بأسمائهم أو قرابته أم هو من العقوق. ١٣- هل يحق التفرقة بين المملوكة وولدها في البيع أم لا ١٤- هل يفتقر غسل النجاسة إلى عدد أم لا ١٥- إذا تكلم المصلي في نفس الصلاة أو تنحنح هل تبطل صلاته أم لا ١٦- هل يحل عرض أحد من المسلمين أم لا؟ ذكر الشيخ في هذا ستة أسباب يباح فيها عرض المسلم: ١- التظلم ٢- الاستعانة ٣- الاستفتاء ٤- تحذير المسلمين ٥- لمن يجاهر بالفسق أو البدعة ٦- التعريف إذا كان الإنسان معروفاً بلقب كالأعرج والأعمى ١٧- ومما أفتى به الشيخ حمد رحمه الله وأجاب عنه تقرير نصاب الذهب في الزكاة وهو جواب للشيخ جمعان ١٨- وله إجابة على أربعين مسألة لم يذكر السائل، يذكر منها: ١- إذا زوج ولي أو نحوه موليته وهو معلن بالظلم في ملك للناس وغيره ٢- إذا كنت ببادية ونحوها واحتجت لمن تُشْهِدُهُ على عقد فالتمست

أحداً فلم تجد فهل إذا اخترت ممن تجد في نفسك ولو غير عدل يتعذر غيره أن تكون شهادة مقبولة شرعاً أم لا. ٣- إذا اشتريت خشب اثل ونحوه وهو قائم على أصله وشرطت على البائع إبقاءه في أرضه أو أطلقت فلم تشترط لكن أبقيته فلم تقطعه حتى زاد فعل العقد والشرط صحيحان أم باطلان أم الشرط فقط. ٤- إذا أوصى بشيء نحو ضحية في ماله فباع الوصي المال أو الوارث التركة ولم تنفذ الوصية وتعذر الرجوع على البائع لإفلاسه أو نحوه فهل تتعين الوصية في التركة التي وقع عليها عقد البيع. ٥- إذا رهن إنسان عند إنسان رهناً وقال أنا مقضيك هذا في دينك لفظه ولم يزد في الإيجاب على هذه الكلمة فهل إذا وقع الإيجاب على هذا المنوال يثبت فقد الرهن أم يلغى؟

وهكذا إجابته رحمه الله على بقية الأسئلة وقد أجاب رحمه الله على الأسئلة وجملتها أربعون سؤالاً في تسع صفحات وبعض صفحة.

١٩- وأجاب رحمه الله على عشرين مسألة، أربع صفحات منها:

١- ما خيار المجلس وما صورته ٢- إذا تبايعا وشرطا أن ليس بينهما خيار المجلس. ٢٠- إذا تداعى ولا بينة معهما وصارت اليمين على المنكر فإن حلف قضى وإن أبى أن يحلف فهل يقضي عليه بنكرانه أم يرد اليمين على الداعي.

٢١- من الأخ حمد بن ناصر إلى الأخ جمعان بن ناصر يسأل عن مسائل:

١- إذا استأجر إنسان من آخر ناضحاً يسقى عليه شجره أو زرعه وشرط عليه إن مات الناضح أو عجف فالأجرة تامة ٢- إجارة الإنسان نفسه أو دابته بجزء مشاع من التمر قبل ظهورها أو قبل بدو صلاحها صحيح أم لا؟ ٣- إذا فرق نائب الإمام جماعته النائبة وكان بعضهم غائباً وأخذ الأسير من رجل دراهم وجعلها سلماً في تمر ذمة الغائب. ما الحكم إذا ترافعا؟ ٤- فيمن ينظر في جراح النساء ٥- هل شهادة النساء في استهلال الجنين من جهة الإرث إذا كان اثنتين فأكثر مقبولة أم لا؟ ٦- هل الغرة في الجبين واجبة على كل حال تحلق أم لا؟ ٧- إذا عاب من الإنسان يده أو رجله بجناية الغير وبقي العضو مع عيبة هل الدية تامة؟ ٨- هل المعتبر من تحمله العاقلة لأنه لا تحمل ما دون الثالث فما فوق بالجاني أو المجني عليه.

٢٢- من حمد ناصر إلى الأخ جمعان بن ناصر يسأل عن مسائل منها:

١- هل تعتبر العدالة في الرضعة إذا ادعت الرضاع. ٢- إذا كان بين شريكين نخل أو زرع وأراد أحدهما تركهُ للآخر وعوضه كيلاً معلوماً أو جزءاً مشاعاً من الثمرة فهل هذا مساقات لا مشاركة لا بأس فيها.

هذه مقتطفات من العناوين لرسائل الشيخ الفاضل والعالم الفذ الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، عقائدية وفقهية واستشارات وإجابات على ما يقع في عصره من معظمات المسائل وتفرع الخلافات مما يجعل الشيخ مرجعاً لحل المسائل سيما وأن الكثير من إجاباته موجهة لطلاب العلم ومنهم الشيخ جمعان بن ناصر وكان قاضياً ومعلماً في وادي الدواسر رحم الله الجميع.

الجلسة الثالثة

أحمد: ما سجله الأخ الفاضل محمد ونقله مفهرساً رسائل وفتاوى العلامة الشيخ حمد بن معمر لدليل على بحر معارفه ولحجج مداركَهُ فقد استوعبت بحوثه ورسائله أصولاً عقائدية وفروعاً فقهية أجاب فيها رحمه الله على شبه قائمة في زمانه مما يفيد أن حركة التجديد والإصلاح في القرن الثاني عشر الهجري والتي منطلقها الجزيرة العربية التي اصطدمت بعقائد بدعية إستمرى درَّها أرباب المصالح والمناصب من مروجي البدع والخرافات فكان لابد من البيان على وجه حقيقة الشرع ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حيَّ عن بينة ثم تأتي في الدرجة الثانية مصارعة الخصوم بالقوة والقضاء على المنكر بالسلطان فإن أبرز ما احتدم الاختلاف فيه بين دعاة التجديد وأتباع التقليد هو: **أولاً:** تحريم البناء على القبور وشد الرحال إليها.

ثانياً: تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

ثالثاً: دعاء الموتى من نبي أو ولي.

- حامد: لقد قرأت بعض كتب المؤرخين ولعله روضة الأفكار للشيخ ابن غنام ما مضمونة أن الشريف غالب أمير الحجاز استراب من

حركة دولة التوحيد في الدرعية وخاف على حكمه وسلطانه فأراد أن يستبطئ الهجوم ويعقد صلحاً أو مسالمة بإظهار القناعة لما يدعو إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب فطلب الأمير غالب من الإمام عبدالعزيز بن محمد أن يرسل وفداً من العلماء إلى الحجاز ليلتقوا مع علماء مكة المكرمة ويدور بينهم الحوار والبحث فيما اختلفوا فيه من المسائل العقدية والتي هي السبب في تجهيز الجيوش ومحاربة كل من لم ينفذ ويتبع لدعوة التجديد والإصلاح فأوفد الإمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود سنة ١٢١١هـ الشيخ حمد بن ناصر بن معمر على رأس وفد من العلماء للشخوص إلى مكة المكرمة استجابة لطلب الشريف ومحاولة في هدايتهم والطمع في إرشادهم إلى سبيل الإخلاص والخلاص من كل بدعة أو ما يشوب عقيدة التوحيد وجرى الحوار بين من حضر من العلماء وبين من قدم من أهل نجد برئاسة الشيخ حمد بن معمر وبعد ذلك طلب الأمير غالب أن يحرر الإجابة ويتحرى الإصابة في ثلاث مسائل وجهوها إليه:

الأولى: ما قولكم فيمن دعا نبياً أو ولياً واستعان به في تفريج الكربات كقوله يا رسول الله أو ياابن عباس أو يا محجوب أو غيرهم من الأولياء والصالحين.

الثانية: فيمن قال لا إله إلا الله محمداً رسول الله ولم يصل ولم يزكِّ هل يكون مؤمناً.

الثالثة: هل يجوز البناء على القبور. هذه المسائل الثلاث كانت في صلب الخلاف.

- **حامد:** يلخص لنا الإجابة عن المسائل الثلاث: **الأولى:** فيها فيمن دعا ولياً أو نبياً واستعان به، قال الشيخ حمد بن معمر الذي نعتقده وندين الله به أن من دعا نبياً أو ولياً أو غيرهما وسأل منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات فقد ارتكب أعظم الشرك الذي كفر به المشركين حيث اتخذوا أولياء وشفعاء يستجلبون بهم المنافع ويستدفعون بهم المضار بزعمهم. قال الله تعالى ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ فمن جعل الأنبياء أو غيرهم كابن عباس أو المحجوب أو أبي طالب وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألونهم وهم يسألون الله كالوسائط عند الملوك. يسألون الملوك حوائج للناس لقربهم منهم أو لكونهم أقرب إلى الملك فمن جعلهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال المال والدم وقد نصَّ العلماء رحمهم الله على ذلك وحكموا عليه بالإجماع ثم نقل كلام الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي والإمام البكري الشافعي وصاحب الإقناع وشرحه كما استطرد في تفسير الآيات الدالة على ما حكم به إلى أن قال: فانظر إلى كلام هؤلاء الأئمة وتصريحهم بأن المشركين ما أرادوا ممن عبدوا إلا التقرب

إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله وتأمل ما ذكره ابن كثير وما حكاه عن زيد بن أسلم وابن زيد ثم قال وهذه الشبهة هي التي اعتقدها المشركون من قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بردها والنهي عنها.

المسألة الثانية: من قال لا إله إلا الله محمداً رسول الله ولم يصل ولم يزك هل يكون مؤمناً؟ قال الشيخ حمد: فنقول أما من قال لا إله إلا الله محمداً رسول الله وهو مقيم على شركه يدعو الموتى ويستغيث بهم ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات فهذا كافر مشرك حلال الدم والمال وإن قال لا إله إلا الله محمداً رسول الله وصام وزعم أنه مسلم كما تقدم بيانه أما إن وحد الله تعالى ولم يشرك به ولكن ترك الصلاة ومنع الزكاة فإن كان جاحداً للوجوب فهو كافر إجماعاً وأما إن أقر بالوجوب ولكنه ترك الصلاة تكاسلاً فهذا قد اختلف العلماء في كفره.. والعلماء إذا أجمعوا فإجماعهم حجة لا يجتمعون على ضلاله وإذا تنازعوا في شيء ردوا ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول الواحد منهم ليسس بمعصوم على الإطلاق بل كان يؤخذ من قوله ويرد إلا قول رسول الله ﷺ كما قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ وقال: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ إذا عرف هذا فنقول اختلف العلماء رحمهم الله في ترك الصلاة كسلاً من غير جحود لوجوبها فذهب الإمام أبو حنيفة والشافعي في أحد قوليه ومالك إلى أنه لا

يحكم بكفره واحتجوا بما رواه عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: خمس صلوات كتبهن الله على العباد من أتى بهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة. ومن لم يأت بهن فليس له عهد عند الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له. وذهب إمامنا أحمد بن حنبل والشافعي في أحد قوليه وإسحاق بن راهوية وعبدالله بن المبارك والنخعي وأيوب السختياني وأبو داود الطيالسي وغيرهم من كبار الأئمة والتابعين إلى أنه كافر وحكاه إسحاق بن راهويه إجماعاً، ذكره عنه الشيخ أحمد بن حجر الهيثمي في شرح الأربعين وقال الإمام أبو محمد بن حزم سائر الصحابة ومن بعدهم من التابعين يكفرون تارك الصلاة مطلقاً ويحكمون عليه بالارتداد منهم أبو بكر وعمر وابنه عبدالله وعبدالله بن عباس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبدالله وعبدالرحمن بن عوف وأبو الدرداء وأبو هريرة وغيرهم من الصحابة ولا نعلم لهؤلاء مخالفاً من الصحابة إلى أن قال: ثم اعلم أن العلماء كلهم مجتمعون على قتل تارك الصلاة كسلاً إلا أبو حنيفة ومحمد بن شهاب الزهري وداود فإنهم قالوا يحبس تارك الصلاة المفروضة حتى يموت أو يتوب. ثم ذكر الأدلة لكلا القولين وهذا ملخص المسألة الثانية.

أما المسألة الثالثة: وهي: ثبت في الصحيحين والسنن عن رسول الله أنه نهى عن البناء على القبور وأمر بهدمها كما روى مسلم في صحيحه حيث قال حدثني يحي حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن ثابت عن أبي وائل الهياج الأسدي قال: قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله

ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته وقال أيضاً: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا حفص بن غياث عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال. نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يبنى عليه وأن يكتب عليه ثم قال الشيخ: ومن جمع بين سنة رسول الله في القبور وما أمر به وما نهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ما أنتم عليه من فعلكم مع قبر أبي طالب والمحجوب وغيرهما وجد أحدهما مضاداً للآخر مناقضاً له بحيث لا يجتمعان أبداً، فنهى رسول الله عن البناء على القبور كما تقدم ذكره وأنتم تبنون عليها القباب العظيمة والذي رأيت في المعلاة أكثر من عشرين قبلة ونهى رسول الله ﷺ أن يزاد عليها غير ترابها وأنتم تزيدون عليها غير التراب والتابوت الذي عليه ولباس الجوخ ومن فوق ذلك القبة العظيمة المبنية بالأحجار والحصى وأعظم من ذلك وأشد تحريماً الشرك الأكبر الذي يفعل عندها وهو دعاء المقبورين وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات لكن تقولون لنا إن هذا لا يفعل عندها وليس عندها أحد يدعوها ويسألها ونقول: اللهم اجعل ما ذكرتموه حقاً وصدقاً ونسأل الله أن يطهر حرمه من الشرك إلى أن قال رحمه الله: هذا آخر الكلام في هذه المسائل الثلاث فإن وافقتمونا على أن هذا هو الحق فهو المطلوب وإن زعمتم أن الحق خلافه فأجيبونا بعلم من الكتاب والسنة فإنهما الحاكمان بين الناس فيما تنازعوا فيه كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ وقد ذكرنا لكم الأدلة فاذكروا لنا جوابها من الكتاب والسنة وكلام الأئمة فإذا أجبتم على هذه المسائل الثلاث أجبناكم عن بقية المسائل.

الجلسة الرابعة

الوالد: نعود إلى التاريخ التقليدي لنعرف صفحات من تاريخ هذا الإمام الشيخ حمد بن معمر فنقول:

أولاً: هو العلامة الفقيه حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر العنقري السعدي التميمي.

ثانياً: نشأ الشيخ حمد في مدينة العيينة من أكبر مدن نجد آنذاك وعاصمة حكم آل معمر قبيلته وعشيرته والتي كان لها در في مجابهة حملات إبراهيم باشا فهم ممن أبلوا بلاءً حسناً في الدفاع عن دولة التوحيد وعاصمة الحكم السعودي (الدرعية) وقد استشهد منهم بضعة رجال في سبيل إعلاء كلمة الله. من هذا البيت العريق كان الشيخ حمد بن معمر وكانت عبقريته وبطولته وعلمه وفضله وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول الناس معادن كمعادن الذهب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا.

ثالثاً: ثابر الشيخ حمد على الطلب والجد والاجتهاد من تحصيل العلم وبلوغ ذراه وقد تتلمذ على المصلح المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله فنال شأواً بعيداً لم ينله أقرانه وتألق نجمه في فترة وجيزة أخذ بها مصاف العلماء المبرزين في فنون العلم وآدابه.

رابعاً: جلس للتدريس في مدينة الدرعية الزاهية بالعلماء والآهلة بالطلاب فالتف حول مريدو العلم الشاربون من مناهل عرفانه وصارت مجالس دروسه معهداً صباح مساء فنفع الله به الخلق الكثير واستفاد منه الجم الغفير.

خامساً: من أبرز تلامذته ابنه الشيخ عبدالعزيز والشيخ المحدث سليمان بن عبدالله والشيخ العلامة عبدالرحمن بن حسن والشيخ الفقيه عبدالله أبا بطين والشيخ عبدالعزيز بن حسن المشرف والشيخ عثمان بن عبدالجبار بن شبانه والشيخ علي بن حسن اليماني والشيخ جمعان بن ناصر.

سادساً: تصدى للفتوى وقصده المستفتون من أنحاء الجزيرة العربية وقد أجاب الأجوبة المحررة السديدة التي تدل على العلم الواسع والفقيه النقي والباع الطويل في جميع العلوم الشرعية فجاءت في فتاويه ورسائله فوائد زائدة عما كتبه من قبله من الفقهاء تنبئ عن حسن تصرف وجمال تخريج، فضُل كثيراً ممن سبقه من العلماء ومنهم في طبقته.

سابعاً: وكما كان دوره في العلم والتوجيه فقد كان بطانة ناصحة لولاة الأمور فقد عاصر الأئمة الثلاثة من آل سعود ومحمد وعبدالعزيز وسعود وكان له دور سياسي في علاقة الحجاز بنجد وقد سبقت الإشارة إلى أن الإمام عبدالعزيز بن محمد قد انتدبه عام ١٢١١هـ بالشخوص إلى مكة المكرمة بناء على طلب الشريف غالب بن مساعد لغرض الحوار والمناظرة بين علماء مكة وعلماء نجد في ما اختلف فيه الطرفان فقام ابن معمر بالمهمة

ومعه نخبة من العلماء خير قيام وأجاب عن الشبه التي أثاروها ضد الدولة السعودية أو بالأحرى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب كما قام الشيخ حمد في عام ١٢٢٠هـ بحمل كتاب الصلح بين الدولتين السعودية ودولة الشريف وبنود الصلح تتضمن تحقيق التوحيد وإخلاص العبادة ثم التحذير عن ترك الصلوات والأمر بأدائها في المساجد والنهي عن شرب الدخان وعدم بيعه وتعاطيه كما تتضمن هدم القباب التي على القبور والأمر بالحضور إلى المساجد لسماع رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب وفي عام ١٢٢١هـ بعثه الإمام سعود رئيساً لقضاة مكة المكرمة ومشرفاً على أحكامهم فمكث في عمله حتى توفاه الله عام ١٢٢٥هـ وصلى عليه المسلمون تحت الكعبة المشرفة وذهبوا به إلى مقبرة البياضية فخرج الإمام سعود من قصره ومعه جمع من المسلمين فصلوا عليه مرة أخرى وأسف الناس عليه. وقد خلَّف ابنه عبدالعزيز بن حمد بن معمر رحمة الله عليهما.

هذا ملخص ما كتبه عنه مؤرخ علماء نجد خلال ستة قرون الشيخ عبدالله بن بسام مع تصرف وزيادات.

هذا والله ولي التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الجلسة الخامسة

محمود: مما تقدم يظهر لنا أن هناك مناوئة لقيام الدعوة وأن المعركة الكلامية كانت أولى المناوشات الحربية بين دولة التوحيد الناشئة في الدرعية وبين خصومها من الدويلات والأمارات في الجزيرة العربية فلعل أحدنا يستعرض بعض أسماء من قاموا بالصد والرد ونقموا من خصوم الدعوة في نجد وغيرها لعل ذلك يكون من أسباب التعرف على أن الدعوة لم تقم ولن يكون بغير خصوم ولا مجابهة.

حامد: لقد عثرت على بحث يتضمن ذكر المناوئين لدعوة شيخ محمد ابن عبدالوهاب للباحث الشيخ عبدالعزيز بن محمد العبداللطيف ذكر في بحثه على ما يربو على واحد وخمسين ممن أثاروا الشبه وعكروا صفو العمل، أذكر منهم على سبيل المثال:- (في نجد).

١- الشيخ عبدالله بن أحمد بن سحيم المتوفي ١١٧٥هـ وهو من بيت آل سحيم الذين هم أكثر من خاصم وحارب الدعوة السلفية.

٢- من أشد خصوم هذه الدعوة عبدالله بن عبس المويس المتوفي سنة ١١٧٥هـ ومعاداته وخصومته ظاهرة جلية من خلال رسائله.

٣- ومنهم الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن عدوان المتوفى سنة ١١٧٩هـ فقد ألف رسالة في نحو ثمانية كراسات في الرد على الشيخ محمد ابن عبدالوهاب.

٤- وكان الشيخ مربد بن أحمد الوهيبي التميمي من أهل حريملاء من أعداء الدعوة وبلغ من عداوته وتضليله أن ذهب إلى صنعاء في اليمن فشوه دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

٥- ومن أشد هؤلاء الخصوم عداوة وكيداً الشيخ سليمان بن سحيم المتوفي سنة ١١٨١هـ. وكانت رسائله المملوءة بالأكاذيب والشبهات ضد الدعوة السلفية من أشد الرسائل تشويهاً للدعوة وتحريفاً وتزويراً لمبادئ هذه الدعوة.

٦- ومن المناوئين الشيخ سيف بن أحمد العتيقي المتوفي سنة ١١٨٩هـ. ويتجلى عداؤه بأن جميع الردود التي رُدَّ بها على الشيخ محمد بن عبدالوهاب فكانت سفراً ضخماً ولكن هذا المجموع لا يعرف له وجود إلا بالذكر.

٧- الشيخ سليمان بن عبدالوهاب المتوفي سنة ١٢٠٨هـ شقيق الشيخ الإمام وقد تعددت أساليب خصومته ومناوئته فقد ألف رسالة سماها فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبدالوهاب كان من آثارها نكوص أهل حريملاء عن اتباع الدعوة السلفية ثم بعد تأليف هذا الكتاب رجع عما هو عليه وتابع أخاه وأكد ذلك الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن في كتابه مصباح الظلام.

٨- وناهض محمد بن فيروز المتوفى سنة ١٢١٦هـ دعوة الشيخ الإمام وكاد له بمختلف أنواع الكيد والمكر.

هؤلاء هم الذين حملوا حَرْبة العداء في نجد لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

محمود: فمن يحدثنا عن المناوئين لدعوة الشيخ في غير نجد.

حامد: أنا أحدثكم عمن ناوأ الدعوة في غير بلاد نجد نقلاً عما كتبه الأخ عبدالعزيز بن محمد العبداللطيف فمنهم:-

١- الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف وهو أحد شيوخ الإمام محمد بن عبدالوهاب في الأحساء فقد ألف رسالة بعنوان سيف الجهاد لمدعي الاجتهاد.

٢- الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن عفالق المتوفي سنة ١١٦٤هـ ألف رسالة وجهها إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيها تهكم المقلدين لمدعي تجديد الدين وقد تضمنت هذه الرسالة أسئلة تعجيزية تهكمية بأسلوب يحمل طابع التحدي والغرور، هذا في بلاد الأحساء.

٣- وممن ناوأ الدعوة في المدينة المنورة محمد بن سليمان الكردي كتب أسئلة وأجوبة ضد الدعوة السلفية كما كتب الكردي تقريظاً لرسالة سليمان ني عبدالوهاب مؤيداً له في ذلك.

٤- وفي العراق كتب أحمد بن علي البصري الشهير بالقباني مجلداً ضخماً سماه فصل الخطاب في الرد على ضلالات بن عبدالوهاب.

٥- كما ألف عبدالله بن داود الزبيري المتوفى سنة ١٢٢٥هـ كتاباً في مناهضة هذه الدعوة أسماه الصواعق والرعود في الرد على بن سعود.

٦- وفي اليمن كتب عبدالله بن عيسى الكوكباني المتوفي سنة ١٢٢٤هـ كتاباً في الطعن على دعوة الشيخ سماه السيف الهندي في إبانة طريق الشيخ النجدي.

٧- وفي حضرموت ألف علوي بن أحمد الحداد المتوفي سنة ١٢٣٢هـ كتابين في مناهضة الشيخ ودعوته وصنف كتاباً بعنوان السيف البائر لعنق المنكر على الأكابر.

٨- ومن علماء تونس ألف عمر المحجوب المتوفي سنة ١٢٢٢هـ رسالة في الرد على الوهابية لما بلغته رسالة الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

٩- وفي بلاد المغرب كتب محمد بن عبدالمجيد بن عبدالسلام بن كيران الفاسي المتوفي سنة ١٢٢٧هـ رسالة بعنوان الرد على بعض المبتدعين من الطائفة الوهابية.

هذه نماذج من العلماء المنتسبين المتزعمين لمناوأة: الحركة السلفية في الجزيرة العربية...!!

الوالد: نختم هذا الحوار بكلمة أوجهها لكل قارئ نصحاً لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم.

وهي أن من سنن الله الكونية الماضية في إرادته الشرعية الدينية وجود طرفي خصم حزب الله وأنصار دينه وحزب شيطاني ولعل من أسباب الضلالة والغواية هي الكبرياء وبطر الحق وحب الظهور وكسب المال

والجاه والتمشي بما عليه الأسلاف وإن كانوا على غير هدى من الله ولقد أقر كثيرٌ في الزمن الحاضر والغابر بضرورة التمشي مع كتاب الله وسنة رسول الله ولكنها المصالح والمطامع والمطاعم حادت بهم عن سواء السبيل فهلك من هلك عن بينة وحيا من حيا عن بينة ولله في خلفه شؤون. نسأل الله أن يحينا مسلمين ويتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين. وصلَّى الله على نبينا محمد.

الجلسة السادسة

محمد: لقد استعرضنا في الجلسة الخامسة ذكر بعض المناوئين للدعوة من العلماء وأصناف العلماء في عصر الشيخ محمد وما بعده. ونستعرض في جلستنا هذه بالمقابل ذكر من قاموا بدحض الشبهات، ورد الترهات. فقد ذكر الباحث آنف الذكر جملة من الأسماء والمؤلفات التي أوضحت كل ما دارت عليه شبه المشبهين والمناوئين لحركة الإصلاح والتجديد فإليك نماذج من أولئك وما سجلته الأقلام حتى لا يبقى في الأمر خفاء ولا يتوهم الضعف لدى أئمة الصلاح والعلماء والأعلام.

أولاً: ١- قام الإمام المصلح محمد بن عبدالوهاب يرد كثير من الشبهات في رسائله ومؤلفاته فقد كتب مفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد رداً على أخيه سليمان بن عبدالوهاب الذي عارضه في أول الأمر ثم تابعه.

ثانياً: - وكتب الشيخ أحمد بن مانع بن إبراهيم التميمي المتوفي سنة ١١٨٦هـ وهو أحد تلامذة الشيخ الإمام كتب رسالة رد بها على عبدالله المويس أحد خصوم الدعوة وكان المويس يثبط الناس عن صلاة الجماعة ويهون أمرها، فكتب الشيخ أحمد بن مانع هذا الرد موضحاً وجوب صلاة الجماعة بالأدلة ومدافعاً عن الشيخ ودعوته بالبراهين الواضحة الدامغة.

ثالثاً: - وكتب الشيخ حمد بن معمر ردوداً على الشبهات القائمة منها كتابه الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب للشيخ حمد بن معمر كما أسلفنا في ترجمته وهو أحد الأئمة الذين قاموا ببذل الجهد والجهاد في سبيل نشر راية التوحيد إذ هو من أخص تلامذة الشيخ محمد رحمهما الله.

رابعاً: - كما قام الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب المتوفى سنة ١٢٤٢هـ بتأليف ردود منها:

١- جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية.

٢- مختصر السيرة النبوية في مجلد.

٣-الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة.

٤- وله ردود وأجوبة متفرقة في الدرر السنية.

خامساً: - وكتب الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن معمر سبط الإمام جواباً بيناً على الرسالة المسماة المسائل الشرعية على علماء الدرعية.

سادساً: - وفي مقدمة من قام بالرد مفتي الديار النجدية الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين المتوفي سنة ١٢٨٢هـ فقد كتب ردوداً على دعاوي داود العراقي واسم الكتاب تأسيس التقديس في الرد على داود بن جرجيس وكتاب الانتصار وله ردود كثيرة على المناوئين.

سابعاً: - كما قام الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ الإمام المتوفى سنة ١٢٨٥هـ بردود على المناوئين أشهرها رده علي بن جرجيس في كتابه القول الفصل النفيس وله رسائل متعددة وكثيرة في الرد على عثمان بن

منصور وقد بلغت مراسلاته في النصح والرد على ما يربو على خمسين رسالة رحمه الله.

ثامناً: - وقد قام العلامة الأزهري الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن المتوفى سنة ١٢٩٢هـ بتأليف عدد من الكتب وتحرير جملة من الرسائل أغلبها ردود وفي مقدمتها كتابه المشهور مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام وكذا كتابه منهاج التأسيس والتقديس في الرد على المفتري داود بن جرجيس.

تاسعاً: - وقام الشيخ العلامة حمد بن عتيق المتوفى سنة ١٣٠١هـ بالرد على المناوئين في عدد من رسائله منها الدفاع عن أهل السنة والأتباع ومنها رسالته سبيل النجاة والفكاك وله قصيدة مطولة في الرد على عثمان بن منصور. هذه أسماء بعض من قاموا بالرد والردع من أهل نجد..

عاشراً: - وألف العالم الهندي محمد بشير السهواني المتوفى سنة ١٣٢٦هـ كتابه القيم في الرد على أباطيل دحلان سماه صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان.

حادي عشر: - وكتب علامة العراق محمود شكري الألوسي المتوفى سنة ١٣٤٢هـ. سفراً نفيساً في الرد على يوسف النبهاني بعنوان غاية الأماني في الرد على التهاني.

ثاني عشر: - وكذلك الشيخ محمد رشيد رضا من مصر المتوفى سنة ١٣٥٤هـ دافع عن الدعوة السلفية في مجلته الشهيرة (المنار) وحرص على

نشر كتب أئمة الدعوة وطبعها وكان من أثر دفاعه ما كتبه في رسالته السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة.

ثالث عشر: - كما قام الشيخ عبدالظاهر أبو السمح المتوفى سنة ١٣٨٠هـ. بالدفاع عن عقيدة السلف الصالح التي جددها الشيخ الإمام فقد كان من دفاعه أن ألف رسالة في الرد على المخالفين سماها الرسالة المكية في الرد على الرسالة الرملية.

رابع عشر: - وكذا الشيخ محمود شويل ألف رسالة نفيسة في الرد على أحد خصوم الدعوة السلفية وكشف اللثام عن وجه الحق في كتابه القول السديد في قمع الحرازي العنيد.

خامس عشر: -وأما الشيخ مسعود الندوي المتوفى سنة ١٣٧٣هـ. فقد رد على دعاوي الخصوم وفندها في كتابه المفيد (محمد بن عبدالوهاب المصلح المظلوم والمفتري عليه).

سادس عشر: - كما قام علامة الشام الشيخ بهجة البيطار بتأليف رسالة موجزة في الرد على الإسكندراني عنونها نظرة في النفحة الزكية.

سابع عشر: - وكتب علامة الهند محمد منظور النعماني رسالة نافعة في الرد على الدعاوى الكاذبة ضد الدعوة السلفية وعنوانها دعاية مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبدالوهاب وبهذه المؤلفات وغيرها من الوسائل والأساليب التي تدافع عن عقيدة السلف وتذب عنها يتحقق وعد الله على

الدوام حيث يظهر الحق وينحدر الباطل، كما قال تعالى:- ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ ولعل فيما ذكرناه من ردود أئمة الدعوة وأنصارها ما يلفت نظر الباحث إلى هذا التراث الهائل كي يطلع عليها وينظر فيها وسيدرك بكل تأكيد ما تحمله هذه الكتب من الحجج الدامغة والبراهين الساطعة والتي تعكس سعة علم أولئك الأئمة وعمق فهمهم وقوة أدلتهم ووضوح منهجهم. وبهذا نكتفي بذكر من قاوم الدعوة من المناوئين وذكر من رد عليهم ودافع عن الحق بلسانه وقلمه فلعل فيما ذكرناه حافزاً للإطلاع على أن الحق له أنصاره وأن الباطل لن يقاوم مهما طال الزمن وتنوعت أساليب كذبه وافتراءاته والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه وقام بأدوار الحوار

إسماعيل بن سعد بن عتيق.

٦/ ١٠/ ١٤٠٨هـ

صدر للمؤلف

١- أعلامنا في سجل التاريخ.
٢- أعلام وعلماء عايشتهم.
٣- التحقيق في معرفة أنباء الشيخ حمد بن عتيق.
٤- حقائق في مرآة الزمان.
٥- جولة في إحدى وعشرين دولة آسيوية.
٦- إفراغ ما في الذاكرة عن الأبوين وأبويهما.
٧- حوليات آل عتيق.
٨- أربعون يوماً في البانيا.
٩- الشيخ حمد بن عتيق في منظومة التاريخ.
١٠- موسكو التي شاهدتها.